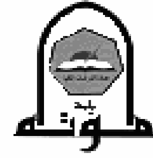


جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

القلة والكثرة في القرآن الكريم " دراسة دلالية "

إعداد الطالبة

أمينة سلمان العزازمة

إشراف

الدكتور طالب محمد الصرايرة

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الماجستير في التفسير وعلومه/ قسم أصول الدين

جامعة مؤتة، 2014م

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تُعبر

بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

نموذج رقم (١٤)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالبة امينه سلمان العزازمة الموسومة بـ:

القلة والكثرة في القران الكريم "دراسه دلالية"

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في **اصول الدين.**

القسم: اصول الدين.

	التوقيع	التاريخ	
د. طالب محمد الصرايرة		22/12/2014	مشرفاً ورئيسا
أ.د. محمد علي الزغول		22/12/2014	عضواً
أ.د. امين محمد البطوش		22/12/2014	عضواً
د. هارون نوح القضاة		22/12/2014	عضواً

عميد الدراسات العليا

K. Bonaw

د. علي الضمور



مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي: ٦١٧١٠
تلفون: ٠٣/٢٣٧٢٣٨٠-٩٩
فرعي 5328-5330
فاكس 375694 ٠٣/٢
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع هذا إلى:

والديَّ الكريمين .... وأدعو ربي أن يرحمهما كما ربياني صغيرا.

إلى زوجي العزيز.............................. الذي زرع فيَّ الطموح والعزيمة .

إلى عمي الغالي (أبو أمجد) ....الذي غمرني لطفاً وكرماً .

...............إلى طلبة العلم في مشارق الأرض ومغاربها ....

أمينة العزازمة

الشكر والتقدير

ولو أنني أوتيت كل بلاغة ... وأفنيت بحر النطق في النظم والنثر
لما كنت بعد القول إلا مقصراً ... ومعترفاً بالعجز عن واجب الشكر

أحمد الله العلي القدير وأشكره ــ سبحانه ــ لما امتن به علي من تحقيق هذا الجهد، إذ هيأ سبل النجاح وذلل أمامي الصعاب، فله الحمد وله الشكر.

ثم إنني لأتقدم بخالص الشكر وجميل الثناء إلى أستاذي فضيلة الشيخ الدكتور طالب محمد الصرايرة ؛ لتفضله بالإشراف على هذه الرسالة، حيث كان لي ناصحاً أميناً ومعلماً مرشداً؛ فجزاه الله عني خير الجزاء.

ثم أتوجه بالشكر والتقدير لأصحاب الفضيلة الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة، وذلك لتفضلهم بالموافقة على مناقشة رسالتي هذه وإبداء الملحوظات عليها.

وأتقدم كذلك بالشكر والعرفان لكل من أسهم في إنجاح هذا الجهد وإخراجه إلى النور، وأخص بالذكر أعضاء الهيئة التدريسية بكلية الشريعة الذين تلقيت العلم على يديهم. فجزاهم الله خير الجزاء وبارك فيهم ولهم وجعل الجنة مأوى لهم.

أمينة العزازمة

قائمة المحتويات

قائمة الملاحق

الملخَّص

القلة والكثرة في القرآن الكريم "دراسة دلالية "

أمينة سلمان العزازمة

جامعة مؤتة 2014م

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مفهومي "القلة والكثرة" في القرآن الكريم، ودراستهما دراسة دلالية، وربط ما تحمله هذه الألفاظ من معان بالواقع المعاصر ما أمكن؛ ليتسنى بذلك الاستفادة مما تحمله هذه المفاهيم من قيم نحن بأمسّ الحاجة إلى تفعيلها واستثمارها لنهضة الأمة، واسترداد قيمتها الحضارية ومكانتها القيادية بين الأمم.

وفيها توصلت إلى أن القلة والكثرة مصطلحين أصيلين في اللغة، يدلان على المعاني والأعداد، وتعرفت إلى دلالة هذين المفهومين في القرآن الكريم، وأهمية ورودهما.

وقد جعلت هذه الدراسة في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: القلة والكثرة في اللغة والاصطلاح.

الفصل الثاني: دلالة القلة في القرآن الكريم.

الفصل الثالث: دلالة الكثرة في القرآن الكريم.

وقد ختمت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات لعل الله ينفع بها.

Abstract

Rareness and abundance in the Holy Quran: "A semantic study"

Amina Salman Al-Azazma

Mu'tah University, 2014

This study aims to shed light on the concepts of "rareness and abundance" in the Holy Quran and studying them objectively, as well as linking the meaning of these words to the contemporary reality in these days in order to enable us to take advantage of the meanings that these concepts carry of the values that we really need in order to activate and invest them for the rebirth of the nation, and redeem its civilized value as well as its leadership position among the nations.

The study found that rareness and abundance are authentic terms in language. They indicate meanings and numbers. I also recognized the significance of these two terms in the Holy Quran as well as the importance of their occurrence.

This study consisted of three chapters:

Chapter One: rareness and abundance in the holy Quran.

Chapter Two: the meaning of rareness in the holy Quran.

Chapter three : the meaning of abundance in the holy Quran.

The study concluded with a conclusion that included the most important findings and recommendations hoping that may God benefit people of them.

المقدمة:

الحمد لله الفرد الصمد، الحمد لله الواحد الأحد المتفرد بالقوة والجبروت، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن خير ما صرفت له الطاقات، وفنيت لأجله الأيام والساعات، هو تدبر رسالة الباري ــ جل في علاه ــ للبشرية، بحسب ما أُوتي العبد من الإمكانات على اختلافها؛ فالقرآن الكريم طوق النجاة لكل من أرادها، وهو يرسم منهجاً يضمن لمنتهجه الفوز والظفر.

ومن خلال النظر في السنن الربانية والآيات القرآنية التي تتناول القلة والكثرة، برزت الحاجة إلى تناول هذا الموضوع بدراسة دلالية؛ للوقوف على معانيها أينما وردت، والأخذ بعين الاعتبار زمن نزول الآيات وأسبابه إن وجدت، وربط ذلك كله بالواقع المُعاش. وقد يُنظر إلى مفهومي القلة والكثرة نظرة خاطئة، ويتم تقويم حالتيهما بصورة بعيدة عن الصواب؛ فالقلة في نظر الناس مذمومة، والكثرة عندهم محمودة، لكن بعد البحث في معاني الآيات القرآنية التي تحمل هذين المفهومين نجد الحق في غير تلك النظرة السائدة.

فعلى المستوى الإيماني نجد أن أقلاء هم من ينهضون بواجب الدعوة ويقبلونها، وقليل من يتمسك بهدي الأنبياء في كل أمة من الأمم.

وعلى مستوى متعلقات الإيمان كالشكر والذكر والعلم بحدود الله والتفكر والتذكر نجد أن قلةً هي من تتصف بذلك والكثرة تترك ذلك وتعرض عنه.

وعلى المستوى الجهادي وجدنا أن الكثرة لا تغني شيئاً؛ وذلك في مقابل قلة صابرة مرابطة واثقة من نصر الله عز وجل.

وكثرة المال والولد إذا أشغلت عن العبادة فهي لا شك مذمومة، كما قال تعالى: [**أَلْهَاكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ**) (التكاثر: 1).

ومن هنا كانت هذه الرسالة بعنوان " القلة والكثرة في القرآن الكريم ــ دراسة دلالية ــ" والله أسأل أن يهيأ لي سبل التوفيق والرشاد انه ولي ذلك والقادر عليه.

1ــ أهمية الموضوع وأسباب الاختيار:

1ــ ابتغاء مرضاة الله ــ عز وجل ــ بتعلم شيء من مكنونات كتابه العظيم.

2ــ الحاجة لتوضيح مفهومي " القلة والكثرة" من منظور قرآني وتتبع مواضع ورودهما في القرآن الكريم.

3ــ القيمة العلمية البالغة للموضوع؛ حيث أنه يُعنى بألفاظ من القرآن الكريم ويوضح مدلولها.

4ــ يمثل هذا الموضوع لوناً من ألوان التفسير وهو التفسير الموضوعي.

5ــ إثراء المكتبة الإسلامية بوضع لبنة في بنائها الأشم.

6ــ إبراز سنة من سنن الله الكونية وهي مساندة القلة المؤمنة.

2ــ أهداف الدراسة :

1ــ تقديم دراسة موضوعية شاملة عن القلة والكثرة ودلالتهما في القرآن الكريم.

2ــ بيان الدلالة القرآنية للقلة والكثرة في كتاب الله تعالى.

3ــ ربط موضوع الدراسة بالواقع المعاصر كلما سنحت الفرصة .

3ــ مشكلة الدراسة :

تجيب الدراسة عن السؤال التالي : ما هي دلالة القلة والكثرة في القرآن الكريم ؟ .

4ــ الدراسات السابقة :

بعد البحث وسؤال أهل الاختصاص من أساتذتي الكرام تبين وجود دراسة بعنوان " ألفاظ القلة والكثرة في القران الكريم دراسة دلالية " وهي رسالة ماجستير للطالبة ميسم عدنان عبد الرسول من جامعة بغداد لكن تعذر الحصول عليها، ولم أتوصل إلا لعنوان هذه الدراسة فقط .

أما ما عدا ذلك فلا يعدو كونه مقالات وبحوث صغيرة بحاجة للتدقيق والمراجعة، وهذا ما دفعني لاختيار هذا الموضوع.

5ــ منهجية الدراسة :

اعتمدَت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك من خلال النظر في الآيات القرآنية، والإستنارة بآراء المفسرين وعرضها والترجيح بينها حسب الحاجة ، ويقوم العمل في الدراسة على النحو التالي:

1ــ عزو الآيات بالأرقام إلى سورها وكتابتها بالرسم العثماني.

2ــ تخريج الأحاديث النبوية؛ بعزوها إلى مصادرها الأصلية.

3ـــ ترجمة الأعلام ممن ورد ذكرهم في هذه الدراسة.

4ـــ عند حذف شيء من النص لا يقتضيه المقام وضعت مكانه نقاطاً " ...".

الفصل الأول

القلة والكثرة في اللغة والاصطلاح

وفيه مبحثان:

1.1 القلة لغة واصطلاحاً، وفيه مطلبان:

1.1.1 القلة لغة.

" قَلَّ:القاف واللام أصلان صحيحان يدل أَحدهما على نزارة الشيء، والآخر على خلاف الإستقرار، والقُلُّ:القِلة وذلك كالذُّلِّ والذِّلة "[1].

" القِلّةُ:خلاف الكَثْرة والقُلُّ خلاف الكُثْر، وقَلّ يَقِلُّ قِلَّة وقُلاًّ فهو قَليلٌ "[2]

يقال: "قومٌ قليلون وأَقلّاءُ وقُلُلٌ وقُلُلون؛ يكون ذلك في قلة العدد ودقّة الجُثّة"[3]

"تَقَلّل الشيء واسْتَقَلّه وتَقالّه إذا رآه قليلاً"[4]

([1])ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، المجلد الخامس، كتاب القاف، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م، ص3.

([2])ابن منظور، الإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الأفريقي المصري(ت711هـ)، لسان العرب، حققه عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 2003م، ج11، ص671.

([3])الفيروزآبادي، العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي (ت817هـ)، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية 1302هـ، ج4، فصل القاف، باب اللام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م، ص 39.

([4])ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص 671.

في حديث أنس ــ رضي الله عنه ــ" أن نفراً سألوه عن عبادة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلما أُخبروا كأنهم تقالّوها: أي استقلّوها "[1]

القليل: "كل شيء في القرآن بلفظ"قليلاً" أو "إلا قليل" فهو دون العشرة"[2].

وهذا على الغالب، ولكن قد يزيد لأن القلة قد تكون أمر نسبي وخصوصاً إذا ما قورنت بالكثرة.

وقد تأتي القلة بمعنى النفي المحض فيقال: قَلَّ رجلٌ يقول ذلك إلا زيد وأقلّ رجلٌ يقول ذلك إلا زيدٌ"[3]

من هنا يتبين أن لفظ القلة يطلق على الأعيان والمعاني فمن الأعيان قلة العدد،ومن المعاني: أنها تدل على دقة الجُثّة؛ أي الضعف.

وهذا ما أشار إليه الشيخ طنطاوي بقوله:" يجوز أن يراد بالقلة؛ الضعف وهوان الشأن"[4] وذلك في تفسيره لقوله تعالى:**(إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي ٱلأَمْرِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ)**(الأنفال: 43).

2.1.1 القلة اصطلاحاً.

لفظ قليل: "وصف يلزم الإفراد والتذكير مثل كثير "[5].

" القلة والكثرة يستعملان في الأعداد، كما أن العِظَم والصِغَر يُستعمَلان في

(1)البخاري، الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هــ)، صــحيح البخــاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم5063، ج3، ص 427.

(2)الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي(ت1094 هــ)، الكليات، تحقيق د.عدنان درويش ومحمد المصري، فصل القاف،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1992م، ص 702.

(3)الزبيدي،الإمام محب الدين أبي الفيض السيد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر للطباعة والنشر، مجلد8، ص 85.

(4)طنطاوي، محمد سيد طنطاوي، تفسير سورة الأنفال، مطبعة السعادة، 1979م، ص 139.

(5)ابن عاشور، الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984م، ج8، ص249.

الأجسام، ثم يُستعار كل واحد من الكَثرة والعِظم، ومن القِلّة والصغِر للآخر "[1].

ويضرب الراغب الأصفهاني أمثلة لذلك من القرآن الكريم فيقول: "يُكنّى بالقلة عن الذلة،وعلى ذلك قوله تعالى: **(وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَٱذْكُرُوۤاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ)** (الأعراف:86).

ويُكنّى بها تارة عن العزة،إعتباراً بقوله تعالى:**(يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ٱعْمَلُوۤاْ آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ)** (سبأ:13).

ووجه الإستدلال في قوله: **(وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَٱذْكُرُوۤاْ إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَٱنْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ)**(الأعراف:86).

ومن خلال الإستقراء لأقوال المفسرين نجد أن الإستدلال بها "أي كنتم مستضعفين لقلتكم فصرتم أعزة لكثرة عددكم"[2]

وللإمام الرازي إستدلال أشمل حيث يقول بعد ذكر الآية:" وهذا الكلام يحتمل ثلاثة أوجه: كثر عددكم بعد القلة، وكثّركم بالغنى بعد الفقر، وكثّركم بالقدرة بعد الضعف، ووجه ذلك أنهم إذا كانوا فقراء أو ضعفاء فهم بمنزلة القليل، في أنه لا يحصل من وجودهم قوة وشوكة "[3].

أما كناية القلة عن العزة المقصودة في كلام الراغب الأصفهاني في قوله تعالى: **(يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ٱعْمَلُوۤاْ آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ)** (سبأ:13)

([1])الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القران،مكتبة نزار مصطفى الباز، ج1، ص 530.

([2])إبن كثير، الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل إبن كثير القرشي الدمشقي(ت 774هـ)، تفسير القران العظيم، الدار المصرية اللبنانية، ط2، 1990م، ج2، ص 222.

([3])الرازي، الإمام فخر الدين محمد بن عمر التيمي البكري المعروف بفخر الدين الرازي (ت606هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، ج14، ص 175.

فيوضحها الإمام الرازي بقوله:"الشكر بقدر الطاقة البشرية هو الواقع وقليلٌ فاعله، وأما الشكر الذي يناسب نعم الله فلا قدرة عليه،ويدل على ذلك أنه تعالى أضاف العباد لنفسه فقال" عبادي " وهي بلفظ الإضافة إلى نفس المتكلم، لم ترد إلا في حق الناجين"[1].

ومن هنا يتبين أن معنى العزة المقصودة هي إضافة تلك الفئة القليلة من الشاكرين إلى الله ــ عز وجل ــ.

ونستنتج مما سبق أن القلة في الإصطلاح جاءت على معنيين هما: الذلة؛ وقد سبق بيانها، والعزة؛ وقد بين ذلك الإمام الرازي كما سلف.

2.1 الكثرة لغة واصطلاحا.

1.2.1 الكثرة لغة.

كَثُر:" الكَثْرة والكُثْرة والكَثْر:نقيضُ القِلّة ، وقومٌ كثيرٌ وهم كَثيرون ، يُقال: كَثُر الشيء يَكْثر كَثْرة فهو كَثير وأَكثر الرجل: أي كَثُر ماله"[2].

" استَكْثَر من الشيء: رغب في الكثير منه "[3].

" الكَوثر: الكَثيرُ من كُل شيء"[4]، والكوثر نهر في الجنة، أعطاه الله نبيه محمداً ــ صلى الله عليه وسلم ــ "[5].

" خيرٌ كثيرٌ وكوثر:بليغُ الكَثرة، وكاثَروهم فكَثَروهم؛ كانوا أكثر منهم، والحمدُ لله على القَلِّ والكَثْر:أي على القِلّة والكَثرة"[6].

([1])الرازي، التفسير الكبير، ج 25، ص 249.

([2])ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص155.

([3])الفيروزآبادي، القاموس المحيط، فصل الكاف ،باب الراء، ج2، ص123.

([4])إبن منظور، لسان العرب، ج5، ص157.

([5])الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(310هــ)، جامع البيان عن تأويل آي القــران، دار الفكر، بيروت لبنان، 1984م، ج 12، ص 716.

([6])الزمخشري، الإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخــشري(ت 538هـــــ)، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود، ، دار المعرفة، بيروت ــ لبنان، 1982م، ص 387.

مما سبق يتبين لنا أن لفظ الكثرة لغةً ورد على معن واحد هو : أنه نقيض القلة .

2.2.1 الكثرة اصطلاحا.

وردت الكثرة في الإصطلاح القرآني لتدل على الكمية المنفصلة كالأعداد[1]، أو على معنى الفضل[2]، فعلى المعنى الأول قوله تعالى: **(وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلأَرْضِ فَسَاداً وَٱللَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ)** (المائدة:64). ووجه الإستدلال في هذه الآية أن المقصود بالكثير" علماء اليهود؛ يعني ازدادوا عند نزول ما أنزل إليك من ربك من القرآن والحجج شدة في الكفر وغلواً في الإنكار"[3].

وعلماء اليهود عدد وهم (الكمية المنفصلة) التي عبّر عنها الأصفهاني؛أي هم أفراد منفصلون، لكن باجتماعهم تحصل الكثرة.

وعلى المعنى الثاني ورد قوله تعالى: **(مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ)** (ص:51).ووجه الفضل فيها كثرتها على مطاعم الدنيا .

ووجه الإستدلال فيها يتبين من خلال قول ابن كثير حيث يقول:" أي مهما طلبوا وجدوا وحضر كما أرادوا "[4].

ويوضح الشيخ الشعراوي ذلك بقوله:" وجود الفاكهة أو التفكّه دليل على وجود الضروريات من باب أولى"[5]. وهذا ما يسميه الأصفهاني بـــ " الفضل".

([1])الأصفهاني، المفردات في غريب القران، ج1، ص 530.

([2])الأصفهاني، المفردات في غريب القران، ج1، ص 530.

([3])الرازي، التفسير الكبير، ج12، ص44.

([4])ابن كثير،تفسير القران العظيم، ج4، ص42.

([5])الشعراوي، الشيخ محمد متولي الشعراوي، مجلد11، أخبار اليــوم قطـــاع الثقافـــة والكتـــب والمكتبات، ص 12977.

الفصل الثاني

دلالة القلة في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

1.2 دلالة القلة في القسم المكي في القرآن الكريم.

لا شك أن لكل من القسم المكي والمدني في القرآن الكريم خصائص ومميزات تعجّ بها كتب علوم القرآن، مما لا حاجة لتكراره هنا؛ لذلك سأشرع ــ بحول الله ــ بتناول موضوعات القلة في القسم المكي من القرآن الكريم .

أولاً: الاشتراء بآيات الله ثمناً قليلاً.

ورد هذا الموضوع في آية مكية واحدة وهي قوله تعالى: **(وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)**(النحل: 95).

في هذه الآية نهي للناس عن الاشتراء بعهد الله ثمنا قليلا، وعهد الله أي " شرعه الذي تعاهدتَ على العمل به والحفاظ عليه، وهو العهد الإيماني الأعلى، وهو أن تؤمن بالله وبصدق الرسول في البلاغ عن الله"[1]. والثمن الذي يؤخذ عوضا عن عهد الله هو ثمن قليل " وإنما كان قليلاً وإن كثُر؛ لأنه مما يزول، فهو على التحقيق قليل"[2].

ومما يجدر التنبيه إليه أن هناك ثمان آيات مدنية[3] تحدثت عن الاشتراء بآيات الله ثمنا قليلاً، مقابل هذه الآية الوحيدة في القسم المكي؛ وهذا يدلنا على تفشي هذه الظاهرة في العهد المدني بعد توسع دائرة المخاطبين وتشعب مصالحه.

والعوض الذي يأخذه من اشترى بعهد الله ثمناً قليلاً قد يكون عوضاً مادياً أو معنوياً، وإسقاطٌ لمعنى الإشتراء بالآيات على واقعنا اليوم؛ فإن الإشتراء بها ثمناً

([1])الشعراوي، تفسير الشعراوي ، مجلد 13، ص 8191.

([2])القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(ت 671هـــ)، الجـــامع لأحكـــام القران، مجلد5، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ج10، ص173.

([3])عبد الباقي، محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكـــر، ط1، 1986م، باب القاف، ص 551.

قليلاً من أبرز مشاريع الطغاة وضعاف النفوس، فبيع المواقف، وبيع الكلمة تجارتهم،وأخطر منه بيع الفتوى إرضاء للساسة؛فقد أصبح تغليف الفتاوى وتقديمها كهدايا لهم من أبشع ملامح من يتصدرها،وصارَ بعض متصدرو الإفتاء يقدمون فتوى لكل حدث سياسي أو غيره لا يتفق مع القواعد الكلية للقرآن الكريم أو سنة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ.

ثانيا: قلة أهل الإيمان.

وتناولت هذا الموضوع ثلاث آيات مكية في سورتين هما : سورة هود وسورة الحاقة، وكانت كالآتي :

1ــ قوله تعالى: **(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَآ آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ)**(هود:40).

2ــ قوله تعالى: **(فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ)**(هود:116).

3ــ قوله تعالى: **(وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ)**(الحاقة: 41).

أما الآية الأولى وهي قوله تعالى:: **(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَآ آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ)**(هود:40).

فهي تتحدث عن قلة عدد من آمن مع نوح ــ عليه السلام ــ وهذه مواساة للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في بداية دعوته من خلال هذه الآيات التي تذكر بقلة عدد من يؤمن مع الأنبياء من الأقوام السابقة؛ فعلى الرغم من طول مكث نوح في دعوة قومه إلا أنه آمن معه نزر يسير.

وتظهر أهمية التذكير بقلة أهل الإيمان في قصة نوح ــ عليه السلام ــ في أن " الألفاظ تكاد تكون ذاتها التي أُرسل بها محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ والتي

تضمنها القرآن الكريم، وهذه المقاربة في ألفاظ التعبير عن المعنى الرئيسي مقصودة في السياق لتقرير وحدة الرسالة ووحدة العقيدة"[1].

ويقول الإمام الرازي في بيان هذه الآية:" قوله تعالى: **(وَمَآ آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ)** (هود:40).

قالوا: كانوا سبعة: نوح ــ عليه السلام ــ وثلاثة أبناء له وهم سام وحام ويافث ولكل واحد منهم زوجة "[2].

إلا أن الإمام الطبري يقول:" والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله تعالى:" وَمَآ آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ " يصفهم بأنهم كانوا قليلا ولم يحدد عددهم بمقدار ولا خبر عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ صحيح؛ فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك حد الله،إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله، أو أثر عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ "[3].

وربما يرادُ بالأهل هنا: الأهليةُ الإيمانية؛ لأن الكفر أزال العلاقة بين نوح وزوجه وابنه، والرابطةُ الإيمانية تسمو على أيّ رابطة أخرى، من الدم والنسب والقرابة، وهذا ما أطمئن إليه، وأما تحديد الأهل بالزوجة والأبناء لم يفصّل فيها القرآن الكريم ولعله من المبهمات في كتاب الله ــ تعالى ــ.

الآية الثانية: قوله تعالى: **(فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ من قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ)**(هود:116).

وهذه الآية المكية تصور حال من سلف من القرون من المؤمنين بأنهم قلة "يستقلهم الله من كل قوم "[4] وهذا التصوير مهم للمؤمنين في بداية الدعوة بأنهم وعلى قلتهم موعودون بالنجاة، قال تعالى:" إِلاَّ قَلِيلاً " لأنهم اتبعوا الرسل ونهوا عن الفساد في الأرض.

([1])قطب، سيد قطب، في ظلال القران، مجلد4، ، ط7، 1971م، ج10، ص538.

([2])الرازي، التفسير الكبير، ج 17، ص 236.

([3])الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القران، ج12، ص 43.

([4])الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القران، ج12، ص 139.

ويلفت الإمام الرازي الأنظار إلى سنة كونية تتعلق بهذه الآية الكريمة وهي أن سبب عذاب الاستئصال الذي حاق بالأمم السابقة يعود إلى أمرين:

"الأول: عدم النهي عن الفساد في الأرض... والثاني: بطر المعيشة وكفر النعمة "[1] وهذا واضح في الآية الكريمة من خلال قوله تعالى:(وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ)(هود 116).

وللأسف فإن هذين السببين من أظهر ظواهر العالم اليوم فإن النهي عن المنكر أصبح جريمة لا تغتفر، وأصبح الملتزم بشرع الله مخالفا لكل الأعراف، وغريبا بين أهله ومجتمعه، أما بالنسبة لبطر المعيشة فإنه وباء هذا العصر فالناس اليوم " اتبعوا طلب الشهوات واللذات واشتغلوا بتحصيل الرياسات"[2]. وهذا مما ينذر بهلاك الأمم كما هلك أسلافها، فكيف بحالنا اليوم إذا كان هذا في زمن الرازي؟.

الآية الثالثة: **(وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ)**(الحاقة: 41).

وهذه الآية الكريمة خطاب لمشركي قريش الذين تخبطوا في أمر ما سمعوه من محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فبرأه الله مما يقولونه عنه من أنه شاعر، وطهره من ذلك بقرآن يتلى على مر الدهور.

وفي هذه الآية لطيفتان يذكرهما الإمام الرازي ــ رحمه الله ــ،أولاهما:معنى القليل هنا له وجهان **الأول** " أنهم لا يؤمنون أصلاً، والعرب يقولون: قلما يأتينا يريدون لا يأتينا، **والثاني**: أنهم قد يؤمنون في قلوبهم إلا أنهم يرجعون عنه سريعا، ولا يتمون الاستدلال. [3]"

واللطيفة الثانية: أنه تعالى ذكر في نفي الشاعرية عن محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ قوله:" قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ " وفي نفي الكهانة في الآية التي تليها قوله: **(وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ)**، والسبب فيه أنه تعالى يخبرهم أن لو قصدوا الإيمان في قلوبهم لأدركوا أن القرآن مباين لصنوف الشعر كلها، وهم أدرى به إلا أنهم لما أرادوا الجدال والمراء ولم يريدوا الحق أعرضوا عن التدبر والتفكير، أما قوله:"

([1])الرازي، التفسير الكبير، ج12، ص76، 77.

([2])الرازي، التفسير الكبير ، ج12، ص77.

([3])الرازي، التفسير الكبير ، ج 30، ص 117.

قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ" في نفي الكهانة فإن القرآن لا يمكن أن يكون إلهاما شيطانياً؛ لأن فيه "شتم الشياطين " بحسب ما يقول الإمام الرازي ولو أنهم تذكروا نظم القران ومعانيه لأدركوا ذلك. [1]

ثالثاً: سعة علم الله عز وجل.

وتتحدث عن هذا الموضوع آية واحدة من القسم المكي ألا وهي قوله تعالى: **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)** (الإسراء: 85).

"والذين يسألون هنا هم قريش" [2] إذ يسألون محمداً ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن الروح وأمرها فأوحى إليه الله ــ عز وجل ــ أن يجيبهم بأن ما تسألون عنه مما استأثر الله بعلمه " وما أطلعكم إلا على القليل، فإنه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء ــ تبارك وتعالى ــ والمعنى: أن علمكم في علم الله قليل"[3].

والآية الكريمة وإن كانت قد نزلت في حادثة مخصوصة[4] إلا أن " أولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال:خرج الكلام خطابا لمن خوطب به، والمراد به جميع الخلق؛ لأن علم كل أحد سوى الله وإن كثُر في علم الله قليل"[5]

ومن هنا ترشدنا الآية الكريمة إلى منهج تواضع العلماء وعدم ادعاء الإحاطة والإدراك الكامل، فلا علم يعلو على علم الله ــ عز وجل ــ فلا ينبغي للإنسان مهما بلغ علمه أن يغترّ بما عنده وينسى فضل الله عليه.

رابعاً: قلة متاع الدنيا.

ورد هذا التنبيه في ثمان آيات مكية[6]، وهو من المواضيع التي تهم المجتمع المكي من باب ترغيبي من جهة، وترهيبي من جهة أخرى؛ فيكون ترغيباً لمن

([1])الرازي، التفسير الكبير، ج 30، ص 117(بتصرف)

([2])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج14، ص 194.

([3])ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج3، ص 60.

([4])وذلك أن قريشاً سألت اليهود شيئا يسألوا به النبي فقالوا لهم:سلوه عن الروح.

([5])الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القران، مجلد 8، ص106.

([6])انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، باب الميم، ص 658.

ضاقت عليه سبل العيش فيعطى بذلك فسحة من الأمل بما عند الله تعالى، وإن النعيم الذي يترف فيه الكافرين لن يدوم طويلاً، ولا يساوي مما عند الله شيئاً ، ويكون في مقام الترهيب، لمن غرَّته زخارف الدنيا فيزدجر ويتذكر دوام ما عند الله وفناء ما عنده.

فكانت هذه الآيات التي فيها ذلك الترغيب والترهيب على النحو التالي:

1ــ قال تعالى: **(نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ)**(لقمان: 24).

وهذه الآية الكريمة جاءت تتحدث عن الكفار بدلالة الآية السابقة لها وهي قوله تعالى:" **(وَمَن كَفَرَ فَلاَ يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوۤاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ)**(لقمان:23).

ومعناه " لا تحزن عليهم يا محمد في كفرهم بالله وبما جئت به، فإن قدر الله نافذ فيهم"[1] وفي ذلك إشارة لحزن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على من عصى الله وكفر به لعلمه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعاقبة ذلك وجزاؤه.

ومعنى قوله تعالى:" نُمَتِّعُهُمْ "؛ أي " نبقيهم في الدنيا مدة قليلة يتمتعون بها فإن النعيم الزائل هو أقل قليل بالنسبة إلى النعيم الدائم"[2].

ومن هنا يظهر أن قلة "التمتيع "[3] لها معنيان:

"الأول: قلته بالنسبة لما أعد للمؤمنين.

الثاني: قلة مدته في الدنيا بالنسبة إلى مدة الآخرة"[4].

وهذا يأخذنا إلى عدم الإغترار بحال الكفار وما وصلوا إليه من حيازة النعم الظاهرة، والعلم بأن هذا استدراج من الله ــ عز وجل ــ ولا يعني الأفضلية أبداً.

2ــ قال تعالى: **(كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ)**(المرسلات: 46).

([1])ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج 3، ص 434.

([2])الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (1250هــ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1994م، ج4، ص 278.

([3])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 21، ص 179.

([4])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج21، ص 179.

يقول عز وجل "تهديداً ووعيداً منه للمكذبين بالبعث، كلوا في بقية آجالكم وتمتعوا ببقية أعماركم، إنكم مجرمون مسنون بكم سنة من قبلكم من مجرمي الأمم الخالية التي متعت بأعمارها إلى بلوغ كتبها آجالها، ثم انتقم الله منها بكفرها وتكذيبها رسلها." (1)

وهذه الآية كالآية الأولى فيها ترهيب للمجرمين من عاقبة إعراضهم عن الحق.

وكون الأفعال في الآية بصيغة الأمر يقول الرازي:"وإن كان في اللفظ أمراً إلا أنه في المعنى نهي بليغ وزجر عظيم ومنع في غاية المبالغة"(2).

3ـ قال تعالى: **(وَإِذَا مَسَّ ٱلإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوۤ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ)**(الزمر: 8).

يبين الله ــ عز وجل ــ حال الإنسان الذي يتضرع ويستغيث بالله عند الحاجة فقط ثم يعرض إذا كشف عنه الضر، والإنسان هنا "أي الكافر"(3) إذا أُعطي نعمة نسي ما كان يدعو إليه؛ أي " الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه أو ربه الذي كان يتضرع إليه"(4)

ولا يكفيه الإعراض فقط، بل يجعل لله أنداداً **(لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ)** فلا يقتصر في ذلك على أن يضل نفسه بل يدعو غيره، إما بفعله أو قوله إلى أن يشاركه في ذلك فيزداد إثما على إثمه "(5) واذا رجعنا الى قوله تعالى: **(قُلْ تَمَتَّعْ**

---

(1)الطبري، جامع البيان، مجلد14، ج29، ص245.

(2)الرازي، التفسير الكبير، ج30، ص283.

(3)الجلالين، جلال الدين المحلي (864هــ)وجلال الدين السيوطي(911هــ)، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة، 2004م، ص458.

(4)البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، ، دار الجيــل، ج 23، ص 608.

(5)الرازي، التفسير الكبير، ج26، ص 249.

بِكُفْرِكَ قَلِيلاً) نجد الشيخ الشعراوي يسأل: عن وجه التمتع بالكفر ويجيب: "أن يعبد إلها بلا منهج ولا تكاليف"[1].

فقوله تعالى: (تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ) هو "من باب الخذلان والتخلية "[2]

وسبب وصف التمتع بالقليل " أن التمتع موقوت بالدنيا ومدة بقاءه فيها "[3] ولا شك أنها مدة قصيرة مهما طالت.

4ــ قال تعالى: (قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ)المؤمنون: 40

اختلف المفسرون[4] في المقصودين في هذه الآية هل هم قوم هود أو قوم صالح ــ عليهما الصلاة والسلام ــ وهذا الخلاف لا يهمنا هنا كثيرا، إلا أن كون الآيات مكية وفيها ذكر لقصص الأنبياء وأقوامهم فإن فيها تأسيس للمجتمع المكي وإرساء لقواعد الالتزام فيه من خلال بيان أسباب هلاك تلك الأمم وكيفية تعاملهم مع أنبيائهم، وذلك لتوخي الحذر وأخذ العبر وجني الثمر، وتجنب الوقوع فيما وقعوا فيه من خطر.

وقوله تعالى (عَمَّا قَلِيلٍ) "لقلة الزمان "[5] ويدل على ذلك الآية بعدها (فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَآءً فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّالمِينَ)(المؤمنون:41).

5- قال تعالى: (قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)(المؤمنون: 114).

ونذكر هنا الآيات التي في سياق هذا الحوار (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ ٱلْعَآدِّينَ * قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)المؤمنون:(112ــ114)وفي هذه الآيات نقاط:

"أولا:(قَالَ) الضمير فيها " هو ضمير الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة".

([1])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مجلد 21، ص 13053.

([2])الزمخشري، الكشاف، مجلد 3، ص 340.

([3])الشعراوي، ، تفسير الشعراوي، مجلد 21، ص 13053.

([4])يرجح الإمام الرازي أنهم قوم هود (ج 23، ص 97)، بينما يرى الطبري أنهم قوم صالح (ج 9، ص 214).

([5])الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص 572.

ثانيا: الغرض من هذا السؤال التبكيت والتوبيخ والسؤال تنبيهاً لهم على أن ما ظنوه دائماً طويلاً فهو يسير بالإضافة إلى ما أنكروه." [1]

وما يقصده الإمام الرازي بقوله "ضمير الله "؛ أي أن الضمير المستتر في لفظ (قال) يعود إلى الله ــ عز وجل ــ.

وفي هذه الآيات تنبيه للمؤمنين وللكافرين في آن معاً إلى أن العيش عيش الآخرة، وأن الإنسان مهما عمّر في الدنيا فإن مصيره إلى آخرته لا محالة، فلا يركن الإنسان إلى دنياه ظناً منه أنها تدوم.

وقول الله عز وجل: **(لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)** أي لو كنتم في عداد من يعلم في ذلك الوقت لما آثرتم الفاني على الباقي ولأقبلتم على ما ينفعكم"[2]

6ــ قال تعالى: **(فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ)**(سبأ:16).

وعلى طريقة سرد قصص السابقين في القرآن المكي تأتي هذه الآية بياناً لعاقبة من يتولى ويعرض عن طاعة ربه وذكر أنواع العذاب الذي تعرضوا له وهنا تأتي قصة سبأ لمَّا أعرضوا، فأرسل الله عليهم سيلاً أغرق أموالهم وخرب دورهم " وقد كانوا قبل ذلك في رغد من العيش وأمروا بشكر النعمة فكفروها فكان لهم ما كان، قال تعالى: **(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ)**(سبأ:15)

فتبدلت أشجارهم المثمرة إلى " الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل"[3] .

([1])الرازي، التفسير الكبير، مجلد 12، ص 127.

([2])البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي(ت885هــ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تخريج عبد الرزاق المهدي، ، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، ط1، 1995م، ج 5، ص226.

([3])ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج 3، ص 511.

ووصف السدر خاصة بأنه قليل" لأنه كان أحسن أشجارهم فقلله الله" [1] وهذا هو جزاء الكفر والإعراض عن طاعة الخالق **(ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ)**(سبأ: 17)؛ فالله تعالى يمهل ، ويعطي الكافر برحمته ــ عز وجل ــ للخلق

وهذا قمة العدل الالهي.

7ــ قال تعالى: **(وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً)**(المزمل: 11).

يخاطب الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم ويعلمه بأنه سيكفيه المكذبين تمام الكفاية، وتدل على ذلك لفظة **(وَذَرْنِي)** أي أنه تعالى أعد لهم ما يستحقونه وهو يكفيك يا محمد هؤلاء ومكرهم، والمقصودون بـــ**(أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ)** هم "صناديد قريش وكانوا أهل تنعم وترفه"[2] والنعمة هنا بالفتح تعني" التنعيم "[3].

والآية فيها تسلية للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عمّا يعانيه مع سفهاء قومه الذين كذبوه، وأن الله ناصره لا محالة، وأمره بالصبر على أذاهم بقوله: **(وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً)**" والهجر الجميل هو الذي لا عتاب معه"[4]

وقوله:**(وَمَهِّلْهُمْ)** يقول الإمام الرازي:" فيه وجهان أحدهما: المراد بالقليل الحياة الدنيا... والثاني: المراد من القليل تلك المدة الباقية إلى يوم بدر، فإن الله أهلكهم في ذلك اليوم"[5]. وهنا دلالةٌ واضحة على الحث على الصبر وتحمل المشاق ، وفيه توجيه للدعاة في كل مكان وزمان بالصبر .

8ــ قوله تعالى: **(وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً)**(الاسراء: 76).

([1])الرازي، التفسير الكبير، ج 25، ص 251.

([2])الرازي، التفسير الكبير ، ج 30، ص 180.

([3])الأصفهاني، المفردات، كتاب النون، ص 645.

([4])ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج4، ص 438.

([5])الرازي، التفسير الكبير، ج30، ص 180

اختلف المفسرون[1] في الذين كادوا أن يستفزوا الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ على قولين: الأول: أنهم اليهود في المدينة ، والثاني: أنهم قريش.

يقول الطبري: "وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول قتادة ومجاهد وهو أن قوله: **(وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً)**، في سياق خبر الله ـــ عز وجل ـــ عن قريش، وذكره إياهم، ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر فيوجه قوله تعالى " وَإِن كَادُواْ"

إلى أنه خبر عنهم؛ فهو بأن يكون خبراً عمن جرى له ذكر أولى من غيره وأما القليل الذي استثناه الله عز وجل في قوله **(وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً)** فإنه مما قيل:أنه" ما بين خروج الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ من مكة إلى أن قتل الله من قتل من مشركيهم ببدر"[2].

وسورة الإسراء مكية، والراجح أن المراد بذلك قريش.

ويؤيد ذلك ما ذهب إليه الشيخ الشعراوي ـــ رحمه الله ـــ حيث يقول:" وكفار مكة يعلمون أن في خروجه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ من مكة راحة لهم، وحتى لا يكون أُسْوة لعبيدهم ولضعاف القوم الذين أحبوه، ومالوا لاعتناق دينه والإيمان به. أي: لو أخرجوك من مكة فلن يلبثوا فيها بعدك إلا قليلاً، وقد حدث فعلاً، فبعد خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة بعام جاءت بدر، فقُتِل سبعون من صناديد قريش، وأُسِرَ سبعون، وبعد أن خرج الرسول من مكة لم يتمتعوا فيها بالنعيم ولا بالسيادة التي كانوا يَرجُونها بعد خروجه." [3]

خامساً: قلة الشكر.

1ــ قال تعالى: **(وَهُوَ ٱلَّذِيۤ أَنْشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلأَبْصَارَ وَٱلأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ)** (المؤمنون: 78).

يقول صاحب الكشاف" إنما خصّ السمع والأبصار والأفئدة؛ لأنه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها، ومقدمة منافعها أن يعملوا أسماعهم

([1])انظر: التفسير الكبير، ج21، ص23، والكشاف، ج2، ص 371، وابن كثير، ج3، ص52.

([2])الطبري، جامع البيان، مجلد 8، ص، 90.

([3])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 14، ص 8694.

وأبصارهم في آيات الله وأفعاله، ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم،ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها "[1]

وقوله (قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ) أي؛ ما تشكرون إلا شكرا قليلاً، وقيل:" أي لا تشكرون البتة "[2]. ويجزم صاحب لباب التأويل في معاني التنزيل أن معنى قلة الشكر هنا هي عدمه فيقول(قليلا) أي لم تشكروا هذه النعم "[3].

2ـ قال تعالى: **(ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلأَبْصَارَ وَٱلأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ)**(السجدة: 9).

وهنا أيضا كما في الآية السابقة لم يشكر الإنسان النعم المُهداة إليه على الوجه الذي يرضاه الله ــ عز وجل ــ فلم يستعملها في مكانها، ولم يؤد حق الله من شكرها، وإذا كان شكر النعم هو ضمانها من الزوال فإن من لم يشكرها تكون شاهدة عليه يوم القيامة.

3ـ قال تعالى: **(قُلْ هُوَ ٱلَّذِيۤ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلأَبْصَارَ وَٱلأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ)**(الملك: 23).

وأكتفي هنا بذكر ما أورده الرازي في تفسير هذه الآية؛ لأن فيه من التمام ما يكفي؛ حيث يقول: " كأنه تعالى قال: أعطيتكم هذه الإعطاءات الثلاثة مع ما فيها من القوى الشريفة،لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما أبصرتموه، ولا تأملتم في عاقبة ما عقلتموه؛ فكأنكم ضيعتم هذه النعم وأفسدتم هذه المواهب، فلهذا قال " قَلِيلاً"؛ وذلك لأن شكر نعمة الله هو أن يصرف هذه النعمة إلى وجه رضاه وأنتم لما صرفتم السمع والبصر والعقل لا إلى طلب مرضاته فأنتم ما شكرتم نعمته البتة "[4]

والشكر هنا يكون على الإيجاد من العدم كذلك .

([1])الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 309.

([2])القرطبي، الجامع لأحكام القران، ج 12، ص 144.

([3])الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت725هــ)، تفسير الخـــازن، دار الفكر ، ج3، ص309.

([4])الرازي ، التفسير الكبير، ج30، ص 73، 74.

4ــ قال تعالى: **(يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ٱعْمَلُوۤاْ آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ)**(سبأ: 13).

الحديث هنا عن النعم التي أنعم الله بها على سليمان ــ عليه السلام ــ وهي الريح وعين القطر وتسخير الجن له الذين يعملون له الأبنية الشاهقة والتماثيل والحياض الكبار ، ثم أمر الله ــ عز وجل ــ آل داود بالشكر فقال:" ٱعْمَلُوۤاْ آلَ دَاوُودَ شُكْراً" "إشارة إلى أن هذه الأشياء حالية لا ينبغي أن يجعل الإنسان نفسه مستغرقة فيها، وإنما الواجب الذي ينبغي أن يكثر منه هو العمل الصالح الذي يكون شكراً، وفيه إشارة إلى عدم الإلتفات إلى هذه الأشياء وقلة الاشتغال بها "[1]

(وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ) الشكور هو " المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه، قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقاداً واعترافاً وكدحاً"[2] وهذا هو واقع الحال فإن شكر النعمة توفيق من الله يحتاج إلى شكر آخر، فلا يمكن للعبد أن يدعي شكره لجميع نعم الله عليه.

5ـــ قال تعالى: **(وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي ٱلأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ)**(الأعراف: 10).

يقول ابن كثير:" يقول تعالى ممتناً على عبيده فيما مكن لهم من أنه جعل الأرض قراراً، وجعل فيها رواسي وأنهاراً،وجعل لهم فيها منازل وبيوتاً، وأباح لهم منافعها، وسخّر لهم السحاب؛لإخراج أرزاقهم منها، وجعل لهم فيها معايش؛ أي مكاسب وأسبابا يكسبون بها، ويتجرون فيها، ويتسببون أنواع الأسباب، وأكثرهم مع هذا قليل الشكر على ذلك"[3]

ويوضح الطبري مظاهر قلة الشكر بقوله:"... وأنتم قليل شكركم على هذه النعم التي أنعمتها عليكم لعبادتكم غيري واتخاذكم إلها سواي"[4].

([1])الرازي ، التفسير الكبير، ج 25، ص 249.

([2])الزمخشري، الكشاف، مجلد 3، ص 254.

([3])ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج2، ص 193.

([4])الطبري، جامع البيان، مجلد 5، ص 435.

سادسا: - قلة من لا يتبع الشيطان.

1- قال تعالى:**(قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً)**(الإسراء: 62).

عداوة إبليس للبشرية عداوة متأصلة منذ خلق آدم عليه السلام، فأبى أمر الله بالسجود له استكبارا وافتخارا، وتوعد ذريته بالإغواء جهرة، وتطرق هذه الآيات الأسماع كل يوم فلا يزدجر مزدجر،ولا يرتدع مرتدع، ولا يتنبه غافل أو يستدرك عاقل.

واللفظة المستخدمة في الوعيد لذرية آدم هي "الاحتناك"؛ ومعناها الاحتواء والاستيلاء[1]، يقول الإمام الرازي:" في الاحتناك قولان: أحدهما أنه عبارة عن الأخذ بالكلية... والثاني: أنه من قول العرب حنك الدابة يحنكها إذا جعل في حنكها الأسفل حبلا يقودها به...، فعلى القول الأول معنى الآية:لأستأصلنهم بالإغواء،وعلى القول الثاني: لأقودنهم إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحبلها"[2].

يقول الشيخ الشعراوي في ذلك: " فالاحتناك قد يكون استئصالاً للذات، وقد يكون قهراً لحركتها، وقوله سبحانه: **(إِلاَّ قَلِيلاً)** (الإسراء: 62) فيها دليل على عِلْم إبليس ومعرفته بقدرة الله تعالى، فعرف كيف يقسم به حين قال: **(فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)** (ص: 82)؛ والمعنى: بعزتك عن خَلْقك: **(فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ)** (الكهف: 29).

سأدخل من هذا الباب، أما عبادك الذين هديتهم واصطفيتهم فلا دَخْلَ لي بهم، وليس لي عليهم سلطان، لقد تذكر قدرة الله، وأن الله إذا أراد إخلاص عبده لنفسه لا يستطيع الشيطان أنْ يأخذَه "[3].

([1])الكفوي، الكليات، ص 58.

([2])الرازي، التفسير الكبير، ج 21، ص 4.

([3])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 14، ص8664.

والقليل المستثنون من هذا الاحتناك هم " العباد المخلصون الذين جاء استثناؤهم في آية أخرى"[1] وهذه الآية هي قوله تعالى: **(إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ)**(ص:83).

سابعا:ــ التذكير بقلة الأقوام.

1ــ قال تعالى: **(وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَٱذْكُرُوۤاْ إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَٱنْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ)** (الأعراف: 86).

هذا الحديث عن قوم شعيب وكيف أنه عليه السلام نهاهم عما يفعلونه من صد للمؤمنين وعن الإفساد في الأرض.

والصراط المذكور هنا " كل طريق من طرق الدين... وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن أراد شعيباً أنه كذاب فلا يفتنك عن دينك،ويوعدون لمن آمن به، وقيل: كانوا يقطعون الطريق"[2]

ويذكرهم شعيب بأنهم كانوا قليلاً مستضعفين فكثَّرهم الله بفضله،والقلة هنا قلة " العدد أو العدة، والتكثير بالبركة في النسل أو المال"[3] ثم يأمرهم بالنظر في مآل من أفسد وكذب ليتعظوا ويعتبروا ويقيسوا حالهم بحال من سبقهم من الأمم، فيحدث لهم الردع وتتمكن منهم الموعظة.

وفي المجتمع المكي حاجة إلى مثل هذه الأمثال ليعرف ما له وما عليه ، وفي سرد مثل هذا القصص ما يفتح أذهانهم ويرشدهم الى الحق بأكثر الطرق خفّة ولطافة حيناً، وبأشدها وعيداً حيناً آخر.

ثامنا:ــ استقلال المكث في الدنيا يوم القيامة.

1ــ قال تعالى: **(يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً)** (الاسراء: 52).

([1])الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت1271هــ)، مجلــد 6، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، ط 1، 2001م. ص 104.

([2])البيضاوي، أنوار التنزيل، ج 8، ص 213.

([3])البيضاوي، أنوار التنزيل، ج 8، ص 213.

وهذه الآية تصوير للبعث من القبور وحال المبعوثين،وقوله " يَوْمَ يَدْعُوكُمْ "فيه قولان " الأول: أنه خطاب مع الكفار بدليل أن ما قبل هذه الآية كله خطاب مع الكفار... والقول الثاني: أن الكلام مع الكفار تم عند قوله تعالى **(قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيباً)**:" أما قوله:**(يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً)**فهو خطاب مع المؤمنين؛ لأنهم يستجيبون بحمد الله، ويحمدونه على إحسانه إليهم، والقول الأول هو المشهور والثاني ظاهر الاحتمال"[1].

تاسعا: - عصمة النبي - صلى الله عليه وسلم -.

1ـــ قال تعالى: **(وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً)**(الاسراء: 74).

تحدث العلماء كثيراً عن عصمة النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وهذه الآية جاءت

"إخبارا عن ثقيف وما طلبوه من النبي ليؤمنوا ، والمعنى" وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ " أي على الحق وعصمناك من موافقتهم **(لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً)**أي ركوناً قليلاً... وقال ابن عباس: كان رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ معصوما ولكن هذا تعريف للأمة؛ لئلا يركن أحد منهم إلى المشركين في شيء من أحكام الله وشرائعه "[2]

ويتحدث الشيخ الشعراوي عن هذه الآية قائلاً:" والمتأمل في هذه الآية يجدها تحتاط لرسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ عدة احتياطات؛ فلم تقل (لولا تثبيتنا لك لركنت إليهم)،لا بل لقاربت أن تركن، فمنعت مجرد المقاربة،أما الركون فهو أمر بعيد وممنوع نهائياً وغير متصور من رسول الله، ومع ذلك أكد - سبحانه وتعالى - هذا المعنى بقوله " شَيْئاً قَلِيلاً " أي ركونا قليلا"[3].

عاشراً: - قلة من لا يبغي من الخلطاء.

1ـــ قال تعالى: **(قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلاَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ)**(ص:24).

([1])الرازي، التفسير الكبير، ج 20، ص 227.

([2])القرطبي، الجامع لأحكام القران، ج 10، ص 300.

([3])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مجلد 24، ص 8690.

يقول ابن كثير:" قد ذكر المفسرون ها هنا قصة [1] أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه "[2]

وأن " كل ما ذكر في حق داود عليه السلام هو إسرائيليات وخرافات وأوهام، والقضية ما هي إلا امتحان واختبار، نجح فيه ــ عليه السلام ــ بغض النظر عن ماهية الخصمين، والأولى والأجدر بنا أن لا نخرج النص القرآني عن مفهومه الحقيقي، وأن لا نفسره بالأهواء والضلالات." [3]

ولذلك يجب الحذر عند النظر في هذه الآية وأمثالها ورد علم ما لم يتضح منها الى الله عز وجل ، وهذا درس على العلماء إدراكه ، فالإنزلاق في هذه المزالق خطر قد يوقع في الطعن بعصمة الأنبياء ومكانتهم.

وقوله:**(** وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِيۤ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ **)**معناه " ان كثيرا من الشركاء ليتعدى بعضهم على بعض " إِلاَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ " بالله "وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ " يقول: عملوا بطاعة الله وانتهوا إلى أمره ونهيه ولم يتجاوزوه"[4].

ويتساءل الإمام الآلوسي هنا ويقول: "ماذا أراد بذكر حال الخلطاء في هذا المقام ؟ ويجيب أنه " قصد الموعظة الحسنة والترغيب في إيثار عادة الخلطاء الصُلحاء الذين حكم لهم بالقلة ، وأن يكرّه إليهم الظلم والاعتداء الذي عليه أكثرهم مع التأسّف على حالهم، وأن يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه وأن له في أكثر الخلطاء أسوة" [5]

ونجد الشيخ الشعراوي ــ رحمه الله ــ يتحدث عن هذه الآية بقوله: " إن هذه القضية ليست قضية فذّة ولا مفردة؛ إنما هي ظاهرة كثيرة الحدوث بين الشركاء، فكثيراً ما يبغي شريكٌ على شريكه ويظلمه، مع أنهم لم يتشاركوا إلا لمحبة بينهما

([1])وهي قصة التسبب بقتل أوريا للزواج من امرأته.(الطبري، جامع البيان، ج10، ص571).

([2])ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج4، ص 32.

([3])السقرات، أسامة فرحان السقرات، الإسرائيليات في سورة (ص) عند الإمام الطبري، دراسة ونقد، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، كلية الشريعة، 2011م، ص 93.

([4])الطبري، جامع البيان، ج 23، ص 145.

([5])الألوسي، روح المعاني، ج 23، ص 182.

واتفاق وتفاهم، لكن هذا كله لا يمنع ميل الإنسان إلى أن يظلم، وما أشبه هؤلاء بالمقامرين؛ تراهم في الظاهر أحبة وأصدقاء، في حين أن كلاً منهم حريصٌ على أخذ ما في جيب الآخر"[1].

الحادي عشر: - قلة من يتفكر في آيات الله.

1- قال تعالى: **(أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلأَرْضِ أَإِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ)**(النمل:62).

يعدد الله تعالى بعض نعمه على عباده والتي عند التفكر فيها تنفي أن يكون معه سبحانه إله يستحق أن يعبد من دونه؛ ومن هذه النعم إجابة دعاء المضطر وهو "المكروب الذي مسه الضر"[2] فيكشف الله عنه كربه، والمكروب قد يدعو بباطنه أن يكشف عنه فلا يطّلع أحد على ذلك ثم يجد أن همه قد زال فيتيقن أن خالقه والمطلع على إسراره هو من أجابه.

ثم يذكر- سبحانه - نعمة أخرى وهي أن جعلنا خلفاء الأرض أي المستخلفون فيها " يخلف بعضكم بعضا"[3]

" ءإله مع الله " "وهذا استفهام إنكاري ينكر وجود إله غير الله يفعل هذا " قليلا ما تذكرون" أي " تذكراً قليلاً أو زماناً قليلاً تتذكرون"[4]

2- قال تعالى: **(وَمَا يَسْتَوِي ٱلأَعْـمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَلاَ ٱلْمُسِيۤءُ قَلِيــلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ)**(غافر: 58).

يقول الإمام الطبري: " وما يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئا وهو مثل الكافر الذي لا يتأمل حجج الله بعينيه فيتدبرها ويعتبر بها، فيعلم وحدانيته وقدرته على خلق ما شاء والبصير الذي يرى بعينيه ما شخص لهما ويبصره، وذلك مثل المؤمن الذي يرى بعينه حجج الله فيتفكر ويتعظ"[5] .

([1])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مجلد 21، ص 12910.

([2])الجلالين، تفسير الجلالين، ص 382.

([3])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 17، ص 10824.

([4])الآلوسي، روح المعاني، ج 20، ص 7.

([5])الطبري، جامع البيان، ج 24، ص 77.

وضرب هذه الأمثال في المجتمع المكي ضروري؛ إذ أنهم يدركون بالحس ما يعانيه الأعمى من التخبط والضلال؛ فقياسه على الكفار فيه موعظة بليغة وربط عميق؛ إذ كلاهما لا يرى النور، ولا يمكنه السير على الطريق المستقيم.

الثاني عشر:ــ قيام الليل.

1ــ قال تعالى: **(يأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِّصْفَهُ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً)** (المزمل: 1ــ3).

هذه الآيات خطاب للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمزمّل هو "الملتفُّ بثيابه "[1] وفيها أمر للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقيام الليل ثم يحدد مقداره بالنصف ثم يخيّره عز وجل أن يزيد أو ينقص منه بحسب طاقته البشرية ، وفي هذا تخفيف من الله جل جلاله.

واستثني القليل من الليل في قوله " إِلاَّ قَلِيلاً " فلم يتعلق إيجاب القيام عليه بأوقات الليل كلها"[2]

وقيام الليل عز المؤمن ونور وجهه؛لأن الليل وسكونه يتيح فرصة لمناجاة العبد لربه فتحدث الطمأنينة، والقيام اقتداء من المؤمنين برسولهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ، قال تعالى:**(إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ)**(المزمل:20).

وهذا ما تبينه الآية التالية:

2- قال تعالى: **(كَانُواْ قَلِيلاً مِّن ٱللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)**(الذاريات:17).

وهذه الآية جاءت في وصف الإحسان في عبادة المتقين،حيث قال تعالى: **(إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَآ آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُواْ قَلِيلاً مِّن ٱللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)**(الذاريات: 15ــ17).

([1])الأصفهاني، المفردات، باب الزاي، ص 284.

([2])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 29، ص 259.

" واختلف المفسرون[1] في ذلك على قولين؛ أحدهما: أن ما نافية تقديره: كانوا قليلا من الليل لا يهجعونه...والثاني: أن ما مصدرية تقديره: كانوا قليلا من الليل هجوعهم ونومهم"[2]

والغرض من الآية كما يقول صاحب روح المعاني:"أنهم يكابدون العبادة في أوقات الراحة وسكون النفس، ولا يستريحون من مشاقّ النهار إلا قليلاً"[3].

والقلة هنا دليلٌ على مدحهم ، وفي ذكرهم حثٌ على العبادة .

الثالث عشر: - كشف العذاب قليلاً.

1ــ قال تعالى: **(إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ)**(الدخان:15).

توعد الله الكفار بأشد أنواع العذاب لما كذبوا محمداً ــ صلى الله عليه وسلم ــ "؛ وذلك لأن كفار مكة كان لهم في ظهور القرآن على محمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ قولان: منهم من كان يقول أن محمداً يتعلم هذه الكلمات من بعض الناس... ومنهم من كان يقول أنه مجنون، والجنّ يلقون عليه هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي"[4].

وفي هذه الآية "إعلامٌ للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأن يُكشَف العذاب المتوعد به مدة، فيعودون إلى ما كانوا فيه... وهي المدة التي أرسلوا فيها وفدهم إلى المدينة ليسأل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يدعو الله بكشف القحط عنهم "[5].

والعذاب المتوعد لهم به هو الدخان المبين في قوله: **(فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ)**(الدخان:10).

وقوله: **(إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ)**يحتمل معنيين؛ أحدهما:" أنه يقول تعالى: ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا لعدتم إلى ما كنتم فيه

([1])انظر: (الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص 431، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 142).

([2])الآلوسي، روح المعاني، ج 27، ص 8.

([3])الآلوسي، روح المعاني ، ج 27، ص 8.

([4])الرازي، التفسير الكبير، ج 27، ص 243.

([5])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 25، ص 292.

من الكفر والتكذيب... والثاني: أن يكون المراد إنا مؤخرو العذاب عنكم قليلا بعد انعقاد أسبابه ووصوله إليكم وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال، ولا يلزم من الكشف أن يكون باشرهم؛ كقوله تعالى:(فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلخِزْيِ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ) (يونس:98).

ولم يكن العذاب باشرهم واتصل بهم بل كان قد انعقد سببه عليهم"[1]

"وجملة (إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ) مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأنهم إذا سمعوا(إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلاً) تطلعوا إلى ما سيكون بعد كشفه، وتطلّع المؤمنون إلى ما تصير إليه حال المشركين بعد كشف العذاب؛ هل يقلعون عن الطعن ؟ فكان قوله (إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ) مبيناً لما يتساءلون عنه" [2]

الرابع عشر:ــ قلة أهل الجنة من الآخرين:

1ــ قال تعالى: (وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلآخِرِينَ)(الواقعة: 14).

وسياق الآيات كالآتي؛ قال تعالى: (وَٱلسَّابِقُونَ ٱلسَّابِقُونَ * أُوْلَـٰئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ *ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلآخِرِينَ) (الواقعة: 10ــ 14)

والسابقون: "أي الذين يستحقون الوصف بالسبق لا غيرهم، والثّلّة الجماعة الكثيرة"[3]

ومعنى(ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلآخِرِينَ):"جماعةٌ من الأمم الماضية وقليلٌ من أمة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهم الآخرون وقيل لهم:الآخرون؛ لأنهم آخر الأمم"[4].

وعلى كل الأقوال فإن قلة المتأخرين من أصحاب الإيمان ملحوظ وواقع يشهد له كل ذو لب.

([1])ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج4، ص 142.

([2])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 25، ص 293.

([3])البقاعي، نظم الدرر، ج 7، ص 404.

([4])الطبري، جامع البيان، ج27، ص 172.

الخامس عشر: - سياسة الإقتصاد:

1ــ قال تعالى: **(قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعُ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِه إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ)**يوسف: (47ــ48).

" تدعو هذه الآيات وما في حكمها إلى التأمل والتدبر والبحث والتفكُّر في الظواهر الطبيعية لاكتشاف القوانين الحاكمة لها واستخدامها في خدمة البشر؛ ولهذا يقدم القرآن الكريم أنموذجاً من القيادة الراشدة في سورة يوسف؛ لتعتبر بها الأمة، إذ أن أرقى الدول تخطط وتضع البرامج لخمس سنوات وفي أحوال عادية، وتسمى بالخطط الخمسية؛ بينما نرى يوسف يخطط لخمس عشرة سنة، وفي أوضاع شاذة طغى فيها الحكم والنظام وكثر حوله المنتفعون"[1].

وهذا تأويل رؤيا ملك مصر التي عبّرها له سيدنا يوسف عليه السلام،

" تَزْرَعُونَ " "خبر بمعنى الأمر"[2] وكأن يوسف عليه السلام يقول لهم:ليس أمامكم خيارٌ آخر للنجاة من القحط بغير هذه الطريقة.

ومن هنا نأخذ أول ركيزة من ركائز الاقتصاد الناجح وهي الزراعة.

ثم نأتي الى كلمة" دَأَباً " والدأب: معناه " على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين"[3].

وهذا ثاني ركائز الاقتصاد الناجح وهو الإستمرارية والديمومة والتي يضمنها الإخلاص في العمل.

ثم يقول ــ عز وجل ــ:**(فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ)**.

وترشد الآية إلى أمور ثلاثة:

([1])المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، بحث بعنوان: البناء الحضاري في سورة يوسف ــ عليه السلام ــ، د. طالب محمد عبد القادر الصرايرة، العدد 3، سنة النشر2010م، ص 138.

([2])الرازي، التفسير الكبير، ج 18، ص 153.

([3])البيضاوي، أنوار التنزيل، ج 13، ص 316.

الأول: مستنبط من قوله " فَمَا حَصَدتُّمْ " وفيه دلالة أن الأيدي العاملة منهم، وتحصيل الرزق لا بد أن يكون بأيدي أصحابه لتمام الفائدة.

الثاني: إرشاد سيدنا يوسف للقوم بطريقة الادخار وهي إبقاء المحصول في سنبله " ليكون أبقى له وأبعد عن إسراع الفساد إليه"[1]

الثالث: قوله " إلا قليلا مما تأكلون" أي "خزنوا المحصول إلا المقدار الذي تأكلونه وليكن قليلا قليلا؛ لا تسرفوا فيه"[2]

ومن هنا تظهر قيمة ترشيد الاستهلاك وهو ثالث دعائم الاقتصاد.

ثم يقول تعالى: **(ثُمَّ يَأۡتِي مِن بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ)** (يوسف: 49).

أي "تحرزون لبذور الزراعة"[3] وهنا لفت انتباههم إلى ادخار قليلاً من المحصول لزراعة الأرض بعد انتهاء سنوات الجفاف؛ لأن بعد هذه السبع العجاف، عامٌ فيه يغاث الناس وفيه يعصرون.

السادس عشر: - قلة عطاء المشركين:

1ــ قال تعالى: **(أَفَرَأَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ * وَأَعۡطَىٰ قَلِيلاً وَأَكۡدَىٰ)** (النجم: 33ــ34).

" وقد وردت هذه الآيات في سورة النجم؛ لأنه لمّا نزلت عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ سجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس، ولم يكن في ظن أحد من الخلق انقلابهم على أدبارهم بعد، حتى ولا في ظن المرتدين، سبَّبَ عن ذلك قوله **(أَفَرَأَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ)**؛ أي أخبروني عمن تولى عن ذكرنا بعد أن كان حريصاً عليه، يظن أنه عريق في أهله بإيمانه وأعماله في أيام إيمانه... وهي ــ أي هذه الآيات ــ تصلح لكل من ارتد ظاهراً أو نافق أو انهمك في المعاصي بعد إيمانه معرضاً عن الأعمال الصالحة"[4]

([1])ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج2، ص 462.

([2])ابن كثير، تفسير القران العظيم ، ج2، ص 462.

([3])البيضاوي، أنوار التنزيل، ج 13، ص 316.

([4])البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 19، ص 70.

وهذا واقع حال من لم يدخل الإيمان قلبه فهو إن أعطى كان عطاؤه قليلاً ثم يغلب عليه شح نفسه فيقطع عطيته، والإكداء: "من كدى؛والكدية:صلابة في الأرض" [(1)] يقول الزمخشري:"أصله من إكداء الحافر، وهو أن تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر "[(2)] ؛ فالآية فيها حثٌ على السخاء في العطاء وذمٌ للبخل والبخلاء .

ثم تتتابع الآيات في إنكار صنيعه قال تعالى: ﴿ أَعِندَهُ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ * أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰ * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (النجم: 35 ــ 39).

نتائج المبحث:

تظهر أهمية ورود القلة في القسم المكي من خلال المواضيع التي خدمتها هذه اللفظة، وهي: قلة الثمن الذي يأخذه من يترك عهد الله وآياته ؛ سواءً كان ذلك الثمن مادياً أو معنوياً، ولعل هذا الإشتراء نابع من قلة العلم الذي أوتيه الإنسان مقابل علم الله المطلق ــ جل جلاله ــ وهذا يرشد إلى التواضع وعدم الإغترار بالمواهب والإنجازات.

وهذه المواهب والإنجازات؛ لأنها من متاع الدنيا فهي أيضاً تتصف بالقلة.

وفي حديث الآيات المكية عن قلة أهل الإيمان وقلة الذاكرين والشاكرين، نجد ذلك مرتبط بقلة أهل الجنة الذي تحدثت عنه الآيات المكية أيضاً؛ مما يُشعر بضرورة التنبه إلى هذا الموضوع.

فهذه المواضيع وغيرها مما اختصت بذكره الآيات المكية، ونرى أنها ركزت على تأسيس البناء العقدي للأمة آنذاك.

([1])الأصفهاني، المفردات، كتاب الكاف، ص 551.

([2])الزمخشري، الكشاف، مجلد 4، ص 41.

2.2 دلالة القلة في القسم المدني

أولاً: الاشتراء بآيات الله ثمناً قليلاً:

وفي هذا الموضوع ثمان آيات مدنية مقابل آية مكية واحدة، وقد بيّنتُ وجه ذلك آنفا؛ فجاءت هذه الآيات كالتالي:

1ــ قال تعالى: **(وَآمِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّيَ فَٱتَّقُونِ)**(البقرة:41).

الخطاب هنا لبني إسرائيل والدليل قوله تعالى في الآية السابقة لها: **(يَبَنِي إِسْرَائِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَٱرْهَبُونِ)**(البقرة: 40).

فيأمرهم ــ عز وجل ــ بالإيمان بالقرآن الكريم **(وَآمِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ)** ويوجههم إلى أنه مصدقاً لما معهم من التوراة، وهم أعلم من غيرهم بصدقه؛ لأنهم يجدونه مكتوباً عندهم.

ويقول لهم ــ عز وجل ــ: **(وَلاَ تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ)**، والمراد:" أوّل من كفر به من بني إسرائيل مباشرة؛ فإنّ يهود المدينة أوّل بني إسرائيل مخاطبة بالقرآن؛ فكفرهم به يستلزم أنهم أول من كفر به من جنسهم"[1].

أمّا معنى الاشتراء بآيات الله ثمناً قليلاً،الوارد في الآية الكريمة فهو:"الرياسة التي كانت لهم في قومهم، خافوا عليها الفوات لو أصبحوا أتباعا لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فاستبدلوها، ــ وهي بدل قليلٌ ومتاعٌ يسيرــ بآيات الله وبالحق الذي كل كثير إليه قليل، وكل كبير إليه حقير، فما بال القليل الحقير!!.

وقيل: كان عامتهم يعطون أحبارهم من زروعهم وثمارهم، ويهدون إليهم الهدايا، ويرشونهم الرشا، على تحريف الكلم، وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع"[2]. يقول صاحب روح المعاني: " وقد استدل بعض أهل العلم على منع جواز أخذ الأجرة على تعليم كتاب الله تعالى والعلم، وقد تظافرت أقوال أهل العلم

([1])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 80.

([2])الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 132.

على جواز ذلك؛ وإن نقل عن بعضهم الكراهة، ولا دليل في الآية على ما ادّعاه الذاهب كما لا يخفى "[1]. أي لا دليل في الآية لمن منع جواز أخذ أجرة على التعليم.

2ـ قوله تعالى:(**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ**)(البقرة: 79).

وتأويل هذه الآية كما يقول الإمام الطبري:" الذين حرفوا كتاب الله من يهود بني إسرائيل،وكتبوا كتابا على ما تأولوه من تأويلاتهم، مخالفا لما أنزل على نبيه موسى ـ عليه السلام ـ ثم باعوه من قوم لا علم لهم بها، ولا بما في التوراة، جُهّال بما في كتاب الله؛ لطلب عرض من الدنيا خسيس"[2]

فقال الله ـ عز وجل ـ عنهم:(**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ**)والويل:" الهلاك والدمار "[3]

فتحريفهم لكتاب الله هو المعنى المقصود بالاشتراء هنا.

3ـ قوله تعالى:(**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَـٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ ٱلنَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)(البقرة: 174).

وتتوالى الآيات هنا في الحديث عن " اليهود الذين كتموا صفة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كتبهم التي بأيديهم مما تشهد له بالنبوة والرسالة؛ فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم "[4]

فهم استبدلوا ذلك الحق والصدق بعرض زائل من الدنيا؛ لأن الدنيا كلها فانية.

فهم أرادوا ذلك على الخير الكثير الذي عند الله ـ عز وجل ـ فخابت وخسرت صفقتهم؛ لأن الله أظهر دينه ونصر رسوله، وأتم نور الحق.

([1])الألوسي، روح المعاني، مجلد 1، ص 247.

([2])الطبري، جامع البيان، ج1، ص 378.

([3])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 112.

([4])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 196.

4ـ قال تعالى: (**وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**)(آل عمران: 187).

وهذا " توبيخٌ من الله، وتهديدٌ لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء، أن يؤمنوا بمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأن ينوّهوا بذكره في الناس،ليكونوا على أهبة من أمره"[1].

لكنهم كتموا الحق، وحرّفوا ما في كتبهم؛ فالخيانة ديدنهم، ونقض المواثيق متأصّل فيهم، لا يعدلون عنه على مر التاريخ وحتى يومنا هذا.

كما أن في الآية توجيه لأصحاب العلم والرأي؛ بألا يكتموا شيئا مما عَلِموه أو عُلِّموه؛ لأنّهم مسؤولون عن ذلك، وأن يُظهروا ما أظهرهم الله عليه؛ لئلا يحلّ بهم ما حلّ بأهل الكتاب حين كتموا الحق.

5ـ قال تعالى: (**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـٰئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي ٱلآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)(آل عمران: 77).

والحديث هنا أيضا عن أهل الكتاب، ويدل على ذلك سياق الآيات قبل وبعد هذه الآية؛ حيث يقول عز وجل: (**وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـٰئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي ٱلآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِٱلْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**)(آل عمران: 75ـ 78).

([1])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 412.

من خلال هذه الآيات يتبين أن القرآن الكريم " يكشف عن طبيعة أهل الكتاب وأخلاقهم ونظرتهم للعهود والمواثيق ــ على أمانة في بعضهم لا ينكرها عليهم ــ فأما البعض الآخر فلا أمانة له ولا عهد ولا ذمة"[(1)]

فهو ينصفهم على الرغم من غلبة خبث طبائعهم؛ لأنه قرآن رباني لا تحكمه النزعات العاطفية، والأهواء العشوائية، التي قد تعصف بالنفس البشرية مهما ارتقت في مدارج الكمال.

وإذا عدنا الى قوله تعالى:**(**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـٰئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي ٱلآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)**(آل عمران: 77).

نجد أنه - تعالى - يبين أربعة صنوف من العذاب استحقها هؤلاء؛ وهي:

1- أنهم لا خلاق لهم في الآخرة: أي " لا نصيب لهم فيها، ولا حظَّ لهم منها"[(2)].

2- لا يكلّمهم الله - تعالى -: أي لا يكلمهم" بكلام طيب"[(3)].

3- لا ينظر إليهم ــ عزّ وجل ــ: ومعناه " غَضَبُه عليهم إذ قد شاع نفي الكلام في الكناية عن الغضب، وشاع استعمال النظر في الإقبال والعناية، ونفي النظر في الغَضب فالنظر المنفي هنا نظر خاص" [(4)].

4ــ لا يزكيهم الله ــ تعالى ــ: أي " من الذنوب والأدناس "[(5)]

بعد هذا كله وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فلا يكفيهم ما أحرزوه سابقاً من العقاب بل العذاب ينتظرهم؛ وأي عذاب ؟ إنه (عذاب أليم)؛ أي" موجع"[(6)].

([1])سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 3، ص 605.

([2])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 354.

([3])الفيروزآبادي الشافعي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشافعي (817هـ) تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 2002م، ج 3، ص 59.

([4])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 3، ص 290.

([5])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 354.

([6])الطبري، جامع البيان، ج3، ص 321.

6ـ قال تعالى: **(وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ)**(آل عمران: 199). وهذه الآية الكريمة هي الآية الوحيدة التي جاءت بنفي الإشتراء بآيات الله ثمناً قليلاً في حق بعض أهل الكتاب،وهؤلاء هم "خيرة أهل الكتاب وصفوتهم؛ سواء كانوا هوداً أو نصارى"[1] ، وهذا يدل على قلة من لا يفعل ذلك منهم، وأن غالبيتهم يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً. وقد امتدح الله ــ عز وجل ــ هذه الصفوة في غير موضع من القرآن الكريم؛حيث قال تعالى: **(ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ*وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوۤاْ آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ* أُوْلَـٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)**(القصص: 53ــ55).

وقال: **(ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَـٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ)** (البقرة: 121).

وقال: **(لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ ٱللَّهِ آنَآءَ ٱللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ)**(آل عمران: 113).

7ــ قال تعالى: **(إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّانِيُّونَ وَٱلأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلاَ تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ)**(المائدة: 44).

يقول الإمام الرازي:" هذا تنبيه من الله تعالى لليهود المنكرين لوجوب الرجم، وترغيب لهم في أن يكونوا كمتقدميهم من مسلمي أحبارهم والأنبياء المبعوثين إليهم"[2] فينهاهم الله ــ عز وجل ــ عن الاشتراء بآياته ثمناً قليلاً؛ والثمن القليل:هو " الرشوة والجاه"[3] الذي يطلبه هؤلاء مقابل استبدال الأحكام التي أنزلها الله عز وجل.

([1])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 419.

([2])الرازي، التفسير الكبير، ج 12، ص 2.

([3])البيضاوي، أنوار التنزيل، ج 6، ص 151.

وهنا توجيه لأصحاب الأمر والعلماء ألّا يخشوا في الحق لومة لائم، وألّا يخفوا شيئاً مما عُلِّموه أو يستبدلوه؛ طلباً لأي أمر دنيوي زائل، أو خشية من الناس.

قال تعالى: **﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾**، يقول البيضاوي في تفسير ذلك:هذا " نهيٌ للحكّام أن يخشوا غير الله في حكوماتهم، ويداهنوا فيها؛ خشية ظالم أو مراقبة كبير "[(1)].

8ـ قال تعالى:**﴿ٱشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ ٱللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾**(التوبة: 9).

هذه الآية الكريمة جاءت بالحديث عن المشركين، بدليل قوله تعالى في الآيات التي تسبقها:**﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾** (التوبة: 7).

فالآية الكريمة أقامت أصلا؛ وهو أنّ المشركين لا عهد لهم؛ ولذلك كل ما يصدر عنهم غير مستغرب، ومن هذه الصادرات الشنيعة (الاشتراء بآيات الله ثمناً قليلاً)**﴿ٱشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ ٱللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾**(التوبة:9).

يعني "اعتاضوا عن اتباع آيات الله بما التهوا به من أمور الدنيا الخسيسة"[(2)]

نستنتج مما سبق أن كل الآيات المدنية التي تحدثت عن موضوع الاشتراء بآيات الله ثمناً قليلاً، كانت في سياق رصد حركة أهل الكتاب؛ اليهود منهم على وجه الخصوص، وذم أخلاقهم التي يميزها الغدر في جميع مراحل تعايشهم مع المجتمعات؛ إلا أن هذه الآية جاءت في الحديث عن المشركين - كما عليه أكثر المفسرين -.

إلا أن الإمام الرازي يرجح أن المقصودين هنا هم " طائفة من اليهود أعانوا المشركين على نقض تلك العهود، فكان المراد من الآية؛ ذمّ أولئك اليهود، وهذا

([1])البيضاوي، أنوار التنزيل، ج 6، ص 151.

([2])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 324.

اللفظ في القرآن كالأمر المختص باليهود"[1].

ودليل الإمام الرازي فيما ذهب إليه " أنّ الله تعالى أعاد قوله: **(لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً)** (التوبة: 10) ولو كان المراد منه المشركين لكان هذا تكراراً محضاً، ولو كان المراد منه اليهود لم يكن هذا تكراراً، فكان ذلك أولى "[2].

وهنا نجد أن الآيات تتحدث عن خسارة صفقة هؤلاء فهم " في صدهم عن سبيل الله تعالى وعدوانهم على المؤمنين، لم يحصلوا على فائدة دنيوية، بل حاربوا الإيمان وحاربوا الدين فأخذوا الإثم ولم يستفيدوا شيئا، فكأنهم لا يرقبون إلاّ ولا ذمة حتى مع أنفسهم. ولذلك وصفهم الحق سبحانه وتعالى بأنهم هم المعتدون، لأنهم دون أن يُعتدى عليهم تطوعوا بالعدوان على دين الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين ثم قاموا بالعدوان على أنفسهم. ومن بعد ذلك تأتي رحمة الله لترينا كيف أن الله تعالى رحيم بعباده وخلقه، فالحق سبحانه وتعالى يخبرنا بأنهم مهما فعلوا فإنهم إن تابوا يقبل الله توبتهم. [3]"

وهذا يقرر أنّ كل الآيات المدنية التي تناولت هذا الموضوع، هي تخصّ أهل الكتاب؛ وتحديداً اليهود منهم، وهي سبع آيات في معرض ذمّهم، وآية واحدة في معرض مدح طائفة منهم؛ كما بينّا ذلك سابقاً.

ثانياً:ــ قلة أهل الإيمان.

1ــ قال تعالى: **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَٰوةَ وَآتُواْ ٱلزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ)**(البقرة: 83).

كلّف الله ــ عزّ وجل ــ بني إسرائيل بجملة من التكاليف، وأخذ عليهم المواثيق في ذلك، وهي: ألّا يعبدوا إلا الله، وأن يحسنوا إلى الوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين، وأن يقولوا للناس حسناً، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة،" وقد تضمنت الآية الكريمة لوناً فريداً من التوجيه المحكم الذي لو اتبعوه لحسنت صلتهم

([1])الرازي، التفسير الكبير، ج15، ص 231.

([2])الرازي، التفسير الكبير، ج15، ص 232.

([3])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مجلد8، 4907.

مع الخالق والمخلوق، لأنها ابتدأت بأمرهم بأعلى الحقوق وأعظمها وهو حق الله - تعالى - عليهم، بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، ثم ثنت ببيان حقوق الناس فبدأت بأحقهم بالإِحسان وهما الوالدان لما لهما من فضل الولادة والعطف والتربية، ثم الأقارب الذين تجمع الناس بهم صلة قرابة من جهة الأب والأم، ورعايتهم تكون بالقيام بما يحتاجون إليه على قدر الاستطاعة، ثم باليتامى لأنهم في حاجة إلى العون بعد أن فقدوا الأب الحاني، ثم بالمساكين لعجزهم عن كسب ما يكفيهم، ثم بالإِحسان إلى سائر الناس عن طريق الكلمة الطيبة، والمعاملة الحسنة، لأن الناس إن لم يكونوا في حاجة إلى المال، فهم في حاجة إلى حسن المقال، ثم أرشدتهم إلى العبادات التي تعينهم على إحسان صلتهم بالخالق والمخلوق فأمرتهم بالمداومة على الصلاة بخشوع وإخلاص، وبالمحافظة على أداء الزكاة بسخاء وطيب خاطر، ولعظم شأن هاتين العبادتين البدنية والمالية ذكرتا على وجه خاص بعد الأمر بعبادة الله، تفخيماً لشأنهما وتوكيداً لأمرهما، وكان من الواجب على بني إسرائيل أن ينتفعوا بهذه الأوامر الحكيمة، لكنهم عموا وصموا عنها فوبخهم القرآن الكريم"[1] بقوله: **(** ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ **)**(البقرة: 83). فغدرهم وتوليهم حال بينهم وبين الفوز برضا خالقهم، وقوله تعالى: **(إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْكُمْ)**، يقصد بالقليل هنا الذين " بقوا على ما دخلوا فيه"[2] ولم ينقضوا العهد والميثاق.

وهذه التكاليف لو أدّاها هؤلاء لسعدوا في الدارين؛ لكنهم تركوا ذلك وراء ظهورهم.

يقول ابن كثير:" وقد أمر الله هذه الأمة بنظير ذلك في سورة النساء؛ بقوله:**(وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلجَنْبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً)**(النساء: 36).

([1])طنطاوي، محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج 1، ص 189.

([2])الرازي، التفسير الكبير، ج3، ص 170.

فقامت هذه الأمة من ذلك بما لم تقم به أمةٌ من الأمم قبلها ـــ ولله الحمد والمنةـــ"[1]، ويقصد بالأمة هنا أُمة الإسلام.

2ـــ قال تعالى: **(وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ)**(البقرة: 88).

والذين قالوا ذلك هم بنو إسرائيل، ويشهد لذلك سياق الآيات؛ قال تعالى في الآية التي سبقتها: **(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ ٱلْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا من بَعْده بِٱلرُّسُلِ وَآتَيْنَا عيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَات وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ)**(البقرة:87).

ومعنى الغُلف: " فيه ثلاثة أوجه: أحدهما: أنه جمع أغلف، والأغلف: هو ما في غلاف؛ أي قلوبنا مغشّاة بأغطية مانعة من وصول أثر دعوتك إليها، وثانيها: أن قلوبهم غُلف بالعلم ومملوءة بالحكمة؛ فلا حاجة معها بهم إلى شرع محمدـــ عليه السلام ـــ وثالثها: غُلف؛ أي كالغلاف الخالي؛ لا شيء فيه مما يدل على صحة قولك." [2].

" ثم رد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك؛لأنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق، بأن الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم "[3].

إذن هم الذين طمسوا قلوبهم بما أحدثوه من الكفر والضلال، واكتساب المعاصي والآثام **(فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ)** والمراد بالقلة هنا أحد أمور ثلاثة وردت في تفسير الجلالين مختصرة وهي:" الاستبعاد؛ أي فإيمانهم مستبعد لطرد الله إياهم عن رحمته وسبق شقاوتهم، ويحتمل أن تبقى القلة على بابها؛ أي: فمن آمن منهم قليل كعبدالله بن سلام[4] وأضرابه، ويحتمل أن القلة باعتبار الزمن؛ أي أن الزمن الذي

([1])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 115.

([2])الرازي، التفسير الكبير، ج3، ص 178.

([3])الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 164.

([4])قال عنه الإمام الذهبي في السير:عبدالله بن سلام بن الحارث. الإمام الحبر، المشهود له بالجنة أبو الحارث الإسرائيلي، حليف الأنصار. من خواص أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم.(ج 2، ص 1).

يؤمنون فيه قليلٌ جداً"[1] قال تعالى: **(وَقَالَتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ آمِنُواْ بِٱلَّذِيۤ أُنْزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوۤاْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)** (آل عمران: 72).

3ـ قال تعالى: **(فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلأَنْبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً)** (النساء: 155)

وما ذكر في الآية السابقة يذكر هنا؛ فالحديث عن أهل الكتاب وصفاتهم، وإنما صفهم بقوله: **(فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً)** لأنهم وإن صدّقوا به من وجه، فهم به مكذّبون من وجه آخر؛ وذلك من وجه تكذيبهم من كذّبوا به من الأنبياء، وما جاءوا به من كتب الله ورسل الله يصدّق بعضهم بعضا، وبذلك أمر كل نبي أمته، وكذلك كتب الله يصدّق بعضها بعضاً، ويحقّق بعضها بعضاً؛ فالمكذّب ببعضها مكذّب بجميعها من جهة جحوده ما صدّقه الكتاب الذي يقر بصحته؛ فلذلك صار إيمانهم بما آمنوا من ذلك قليلاً"[2].

ومثل هذه الآية الكريمة أيضاً،آية سورة المائدة **(فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظَّا مِّمَّا ذُكِرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ)** (المائدة: 13).

لكن هناك أمراً أضافته هذه الآية الكريمة؛ وهو توجيه الله ــ عز وجل ــ نبيه محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأن يعفو عن هؤلاء " بترك التعرض لمكروههم"[3]؛ أي الإعراض عن المشركين وترك إيذائهم.

4ـ قال تعالى: **(مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً)** (النساء: 46).

([1])الجلالين، تفسير الجلالين، ج 1، ص 13.

([2])الطبري، جامع البيان، ج 6، ص 9.

([3])الطبري، جامع البيان، مجلد 4، ص 69.

يبين الله ــ عز وجل ــ هنا أن من اليهود من يحرّف الكلم عن مواضعه؛ وذلك بأنهم " يتأوّلون الكلام على غير تأويله، ويفسّرونه بغير مراد الله - عزّ وجل -؛ قصداً منهم وافتراءً"[1]

ومن خبث سرائرهم أنهم يكلّمون النبي ــ صلى الله عليه وسلم - " بكلام محتمل؛ ينوون به الشتيمة والإهانة، ويظهرون به التوقير والإكرام "[2].

" والعجيب أن القرآن يجعل التحريف بضاعة يهودية خاصة، وخلقاً يهودياً خاصاً، حيث لم يرد الفعل " يحرفون " إلا أربع مرات في القرآن[3]،... وكلها تتحدث عن هذا الخلق اليهودي "[4]

وبيان ذلك أن" قولهم "وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ" يحتمل وجهين:

الأول: "اسمع غير مُسمَع مكروهاً "؛ وهذا مدح وتعظيم.

والثاني:" اسمع، لا سمعت "؛ وهذه إهانة.

ثم أن قولهم: "وَرَٰعِنَا": يظهر منه " أنهم يريدون أَرْعِنا سمعك؛ وكانوا يريدون سبّه بالرعونة في لغتهم، وأنهم كانوا يلوون ألسنتهم حتى يصير قولهم " راعنا ": راعينا؛ وكانوا يريدون:أنك كنت ترعى أغناماً لنا "[5]

وقوله تعالى: **(**فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً **)** معناه:" إلا إيماناً قليلاً لا يستحقون به اسم الإيمان "[6].

يقول الإمام الألوسي في تفسير قوله تعالى: فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً أي "ولكن لعنهم الله تعالى إلا فريقاً قليلا منهم، فإنه سبحانه لم يلعنهم؛ فلهذا آمن من آمن منهم

([1])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 480.

([2])الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 517.

([3])انظر: (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، حرف، ص 197).

([4])الخالدي، صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، تاريخ وسمات ومصير، دار القلم، دمشق، ط1، 1987م، ص 201.

([5])الرازي، التفسير الكبير، ج 10، ص 119.

([6])القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مجلد 3، ص 243.

كعبد الله بن سلام وأضرابه" [1]

وها هو العالم اليوم يشهد جوانب من خبث اليهود، وتلاعبهم في المواقف والكلام، فيبيتون الشرور ويتشدقون بالكذب وقول الزور؛ فيسمع لهم ويصدقهم من كان بينه وبين القرآن وتاريخهم فيه أمداً بعيداً، ويتنبه لكيدهم من أنار الله قلبه، وهداه إلى رشده.

5ـ قال تعالى: **(وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنْفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُمْ مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً)** (النساء: 66).

واستثناء القليل هنا من المخالفة؛ اعتبارا بقوله في الآية السابقة: **(فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِيۤ أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً)** (النساء: 65) فهو تعالى: " لمّا بيّن أنّ إيمانهم لا يتم إلا بأن يسلّموا حق التسليم نبّه على قصور أكثرهم ووهن إسلامهم "[2]

ويبين سيد قطب في تفسيره لهذه الآية جانبا آخر من فهمها؛ بربطها بالسابق واللاحق؛ حيث أنها جاءت في سياق الحديث عن الحاكمية لشرع الله في الأرض، وأنه الحد بين الكفر والإيمان، وأنّ "هذا المنهج ميسر لينهض به كل ذي فطرة سوية... لأنه ليس المراد من التكاليف أن يعجز عنها عامة الناس، وأن ينكل عنها عامة الناس؛ بل المراد أن يؤديها الجميع، وأن يقدر عليها الجميع، وأن يشمل موكب الإيمان كل النفوس السوية العادية "[3].

ثالثا: قلة متاع الدنيا.

1ـ قال تعالى: **(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَداً آمِناً وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ)** (البقرة: 126).

([1])الألوسي، روح المعاني، ج 3، ص 47.

([2])البيضاوي، أنوار التنزيل، ج 5، ص 116.

([3])سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 5، ص 427.

وهنا تتحدث الآية الكريمة عن مسألة إبراهيم ربّه؛ بأن يجعل مكة المكرمة بلدا آمنا، وأن يرزق أهله من الثمرات؛ وإنما قدم سؤال الأمن على الرزق؛ لأن الأمن هو الأرضية التي يحتاجها كل إنسان ليتمكن من تحصيل رزقه، فلو وُجد الرزق وانعدم الأمن لما تمكن الإنسان من جلب رزقه والتمتع به على الوجه المطلوب، قال تعالى : **(من آمن منهم)** فقد " خص إبراهيم المؤمنين بدعائه "[1]

وإذا سألنا عن سبب هذا الإستدراك؛ نجد أنه تعالى لمّا قال لإبراهيم: **(إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً)**" (البقرة: 124) قال إبراهيم: وَمِن ذُرِّيَّتِي قال له ــ تعالى ــ:**(لاَ يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ)**(البقرة: 124).

" فخشي إبراهيم وهو يطلب لمن سيقيمون في مكة أن تكون استجابة الله ــ سبحانه ــ كالاستجابة السابقة...، ولكن الله ــ سبحانه ــ أراد أن يلفت إبراهيم إلى أن عطاء الألوهية ليس كعطاء الربوبية، فإمامة الناس عطاء ألوهية لا يناله إلا المؤمن، أما الرزق فهو عطاء ربوبية يناله المؤمن والكافر؛ لأن الله هو الذي استدعانا جميعاً إلى الحياة وكفل لنا جميعاً رزقنا "[2]

لذلك قال تعالى " ومن كفر فأمتعه قليلا"؛ فلهم في الدنيا متعة العيش من طعام وشراب وغيره، وهو متاع قليل مهما بلغ ثم يقهر الى العذاب وهذا " ليس على اختيار منهم ولكن وهم مقهورون "[3]

2ــ قال تعالى: **(لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلاَدِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ)** (آل عمران: 196ــ197).

يعني بذلك ــ جل ثناؤه ــ: " لا يغرنك يا محمد تقلب الذين كفروا في البلاد؛ يعني: تصرفهم في الأرض وضربهم فيها "[4].

([1])ابن عطية، أبو محمد عبدالحق بن غالب. (1422هــ). محرر الوجيز،ت: عبد السلام عبد الشافعي محمد، دار الكتب العلمية، ط1 ج1، ص 209.

([2])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مجلد 1، ص 583.

([3])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مجلد 1، ص 584.

([4])الطبري، جامع البيان، ج4، ص 217.

ويقول الإمام الرازي:" المخاطَب في قوله **(لاَ يَغُرَّنَّكَ)**فيه قولان: الأول: أنه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولكن المراد هو الأمة، قال قتادة: والله ما غرّوا النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى قبضه الله، والخطاب وإن كان له إلا أن المراد غيره "[1].

ثم يقول ــ عز وجل ــ **(مَتَاعٌ قَلِيلٌ)** وإنما وصفه الله تعالى بالقلة؛ لأن نعيم الدنيا مشوب بالآفات والحسرات، ثم أنه بالعاقبة ينقطع وينقضي "[2].

وقد وردت هذه الآيات آخر سورة آل عمران لأن بعض المؤمنين يرون ما فيه الكفار من النعيم "وكان نظرهم إلى ما فيه الكفار من عاجل السعة ربما أثر في بعض النفوس أثراً يقدح في الإيمان بالغيب الذي هو شرط قبول الإيمان؛ فداواه سبحانه بأن تلا تبشير المجاهدين بإنذار الكفار المنافقين والمصارحين الذين أملى لهم بخذلانهم المؤمنين بالرجوع عن قتال أحد وغيره من أسباب الإملاء على وجه يصدق ما تقدم أول السورة من الوعد بأنهم سيغلبون، وأن أموالهم إنما هي صورة، لا حقائق لها، عطفاً لآخرها على أولها، وتأكيداً لاستجابة دعاء أوليائه "[3] قال تعالى: **(رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ * فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ من دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي من تَحْتِهَا ٱلأَنْهَـٰرُ ثَوَاباً مِّن عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ)**

ويبين الله تعالى مآلهم ومرجعهم بأنه الى جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ " والمهاد: أي " ما مهدوا لأنفسهم "[4]؛ لأن كل إنسان هو من يجني على نفسه، ويوقعها في الهلاك؛ بفعله وقوله وإرادته، وهذا تنبيه لنا اليوم بعدم الإغترار بما وصل إليه أهل الكفر، لعلمنا بعاقبة ذلك.

([1])الرازي، التفسير الكبير، ج 9، ص 152.

([2])الرازي، التفسير الكبير ، ج 9، ص 152.

([3])البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 4، ص 416.

([4])البيضاوي، أنوار التنزيل، ج 4، ص101.

3ـ قال تعالى:(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا)(النساء: 77).

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:" كان المؤمنون في ابتداء الإسلام وهم بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة، وإن لم تكن ذات النصب، وكانوا مأمورين بمواساة الفقراء منهم، وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين، والصبر الى حين، وكانوا يتحرقون ويودون لو أمروا بالقتال؛ ليشتفوا من أعدائهم...، ومع هذا لما أمروا بما كانوا يودونه، جزع بعضهم منه، وخافوا مواجهة الناس خوفا شديدا "[1]، وتمنوا أن أخر الله أمرهم بالجهاد إلى وقت آخر.

لكن الله ـ تعالى ـ وجه النبي بأن يعلمهم أن متاع الدنيا قليل، " وجميع ما يستمتع به وينتفع في الدنيا " قليل" في نفسه، سريع الزوال، وهو أقل قليل بالنسبة إلى ما في الآخرة،و"الآخرة "؛ أي: ثوابها المنوط بالأعمال التي من جملتها القتال، " خير" لكم من ذلك المتاع القليل "[2].

فالآية تحث المؤمنين على القتال وترغبهم فيه .

ويفسر ابن عاشور قوله ـ تعالى ـ " ولا تظلمون فتيلا " بقوله:" أي؛ ولا تنقصون شيئا من أعماركم المكتوبة، فلا وجه للخوف وطلب تأخير فرض الجهاد "[3].

ويشهد لذلك الآية بعدها: (أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا)(النساء: 78).

([1])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 498.

([2])الألوسي، روح المعاني، مجلد 3، ص 84.

([3])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص 127.

4ــ قال تعالى: **(يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ)**(التوبة: 38).

" وهذه الآية حث من الله ــ جل ثناؤه ــ المؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم، وذلك غزوة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ تبوك "[1]

" وإنما استثقل الناس ذلك لوجوه؛ أحدهما: شدة الزمان في الصيف والقحط، وثانيها: بعد المسافة والحاجة إلى الاستعداد الكثير الزائد على ما جرت به العادة في سائر الغزوات، وثالثها: إدراك الثمار بالمدينة في ذلك الوقت.

ورابعها: شدة الحر في ذلك الوقت، وخامسها: مهابة عسكر الروم "[2] فنزلت هذه الآية لتبين للمؤمنين أن كل ما يرونه متعة في الدنيا؛فإنها بقياسها إلى ما في الآخرة من النعيم الدائم؛ قليلة حقيرة "فهل يليق بالعاقل ترك الثواب العظيم في الآخرة لأجل المنفعة اليسيرة الحاصلة في الدنيا [3]

ويؤيد ذلك الآية التالية من سورة الأحزاب؛ والتي تصور فئة من ضعاف الإيمان، وهي قوله تعالى: **(قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذاً لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً * قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوۤءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً)**(الأحزاب:16ــ17).

فقد بين ــ سبحانه ــ أن" فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم، ولا يطول أعمارهم بل ربما كان سببا في تعجيل أخذهم غرة "[4].

والحديث هنا عن الذين استأذنوا الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الإنصراف عن القتال، وأولئك الذين قال الله فيهم **(فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوۤاْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ**

([1])الطبري، جامع البيان، ج 10، ص 133.

([2])الرازي، التفسير الكبير، ج 8، ص 61.

([3])الرازي، التفسير الكبير، ج 8، ص 62.

([4])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص 456.

فِي ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)(التوبة:81 ــ82).

ومعناه " فرح هؤلاء المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله؛ فليضحكوا فرحين قليلاً في هذه الدنيا الفانية؛ بمقعدهم خلاف رسول الله ولهوهم عن طاعة ربهم، فإنهم سيبكون طويلاً في جهنم، مكان ضحكهم القليل في الدنيا "[1] وذلك بسبب ما اجترحوه من الإثم بتخلفهم عن غزوة تبوك.

رابعا: قلة الملبّين لنداء الجهاد

وهذا الموضوع يرتبط بالموضوع الذي سبقه ارتباطاً واضحاً؛ إذ أنّ من يلبي نداء الجهاد قلة، ومن يتخلف إنما يتخلف لمتاع قليل فانٍ؛ إلا أن قلة الملبين للنداء يبرز الخيرية في النخبة الطائعة، ويبقي للمتخلفين صفة الذم والإعراض.

ولما كانت صفة التخلف عن القتال موجودة في جميع الأمم؛ رسم لنا السياق القرآني صورتين له؛إحداهما: في معرض الحديث عن بني إسرائيل، وذلك في سورة البقرة؛ والثانية: في معرض الحديث عن المعوِّقين والمثبطين في عهد نبوة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وفي العهد المدني منه خاصة.

أما الآيات في سورة البقرة فجاءت تقول: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلإِ مِن بَنِيۤ إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوۤاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلاۤئِكَةُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ)**(البقرة: 246ــ 249). فالقصة هنا جاءت تخبر عن جماعة من بني إسرائيل، قالوا لنبي لهم: اجعل

([1])الطبري، جامع البيان، ج 10، ص 202.

لنا ملكا نقاتل معه في سبيل الله، لكن عندما كتب عليهم القتال جبنوا وتولوا " إلا قليلا" وهم " الذين عبروا النهر مع طالوت"[1].

يقول سيد قطب:" ومع أن لبني إسرائيل طابعاً خاصاً في النكول عن العهد، والنكوص عن الوعد، والتفرق في منتصف الطريق... إلا أن هذه الظاهرة هي ظاهرة بشرية على كل حال، في المجتمعات التي لم تبلغ تربيتها الإيمانية مبلغا عاليا من التدريب، وهي خليقة بأن تصادف قيادة الجماعة المسلمة في أي جيل؛ فيحسن الانتفاع فيها بتجربة بني إسرائيل"[2]

لذلك وضعت هاتين الصورتين (صورة بني إسرائيل مقابل صورة المعوِّقين) تحت عنوان واحد؛ للاعتبارات التي ذكرها صاحب الظلال.

أما آيات سورة الأحزاب فهي قوله تعالى:**(قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أوْلَـٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً *يَحْسَبُونَ ٱلأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ وَإِن يَأْتِ ٱلأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي ٱلأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُمْ مَّا قَاتَلُوۤاْ إِلاَّ قَلِيلاً)**(الأحزاب: 18ـــ 20).

وتدل القلة هنا على ذم المتخلفين عن الجهاد ، وفي مقابل ذلك الحث على تلبية نداء الجهاد .

" ويبدأ هذا النص بتقرير علم الله المؤكد بالمعوِّقين، الذين يسعون بالتخذيل في صفوف الجماعة المسلمة"[3].

([1])الطبري، جامع البيان، ج 2، ص 600.

([2])سيد قطب، في ظلال القرآن، مجلد 1، ص 383.

([3])سيد قطب، في ظلال القرآن، مجلد5، ص 2840.

وهؤلاء هم ضعاف العزائم الذين تتزعزع مبادئهم عند أول امتحان، والاستثناء في " إلا قليلا" معناه:" إلا إتيانا أو زمانا قليلا؛ فقد كانوا لا يأتون العسكر إلا أن لا يجدوا بدا من إتيانه"[(1)].

ولو قاتلوا مع المؤمنين كما يقول ــ عز وجل ــ " ولو كانوا فيكم " " وقلته إما لقصر زمانه، وإما لقلة غناءه "[(2)].

يقول ابن كثير في معنى ذلك:" ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم إلا قليلا؛ لكثرة جبنهم وذلتهم، وضعف يقينهم، والله ــ سبحانه و تعالى ــ العالم بهم "[(3)].

خامسا: قلة الذكر

1ــ قال تعالى:**(إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)**(النساء:142)

تتحدث الآية الكريمة عن فئة ظهرت في المجتمع المدني بعد أن اشتد عود أهل الإيمان، ودخل معهم من يُهاب وأصبح لهم كيان، وهذه الفئة هم المنافقون الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان،فهم " لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله، بل إنما يُشهدون الناس؛ تقية لهم ومصانعة، ولهذا يتخلفون كثيراً عن الصلاة التي لا يُرون فيها غالباً كصلاة العشاء في وقت العتمة، وصلاة الصبح في وقت الغلس[(4)]. كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال:" أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم انطلق معي برجال، ومعهم حزم من حطب، إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار "[(5)]

([1])الآلوسي، روح المعاني، ج 21، ص 164.

([2])الآلوسي، المصدر نفسه، ج21، ص 164.

([3])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص457.

([4])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص538.

([5])البخاري، الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هــ)، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل العشاء في جماعة، حديث رقم 657، ج 1، ص 173. مسلم، الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجــاج النيسابوري(ت 261هــ)، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فــضل صـــلاة الجماعــة، حديث رقم 252، ص 173.

ومعنى خداع المنافقُ ربَّه، ووجه ُخداع اللهُ إيّاهم "أنّ المنافقين يخادعون الله بإحرازهم بنفاقهم دمائهم وأموالهم، والله خادعهم بما حكم فيهم من منع دمائهم بما أظهروا بألسنتهم من الإيمان، مع علمه بباطن ضمائرهم، واعتقادهم الكفر، استدراجا منه لهم في الدنيا حتى يلقوه في الآخرة، فيوردهم بما استنبطوا من الكفر نار جهنم"[1].

فهم يعتقدون لخبث سرائرهم أنهم يخادعون الله كما خدعوا المؤمنين بأنهم معهم، وما غاب عنهم هو أن الله يعلم السر وأخفى، ولكنهم خسروا دنياهم وآخرتهم؛ فقد فضحهم الله تعالى، وبين صفاتهم؛ فهم كسالى إذا قاموا إلى الصلاة،هدفهم أن يراهم الناس على وضع الاستقامة، قليلٌ ذكرهم لله عز وجل.

وهنا يتساءل الإمام الطبري فيقول:" وهل من ذكر الله شيء قليل؟" ويجيب:" إنما معناه؛ لا يذكرون الله إلا ذكرا رياء ليدفعوا به عن أنفسهم القتل والسباء وسلب الأموال، لا ذكر موقن مصدق بتوحيد الله، مخلص له بالربوبية؛ فلذلك سماه الله (قليلا)؛ لأنه غير مقصود به الله، ولا مبتغى به التقرب الى الله"[2].

ويفصل الإمام الرازي في هذا الأمر؛ وهو قلة ذكرهم لله – عز وجل – فيقول: " وفي قوله: ولا يذكرون..." وجوه: الأول، أن المراد بذكر الله: الصلاة، والمعنى؛ أنهم لا يصلون إلا قليلا، لانه متى لم يكن معهم أحد من الأجانب[3] لم يصلوا، وإذا كانوا مع الناس فعند دخول وقت الصلاة يتكلفون حتى يصيروا غائبين عن أعين الناس.

والوجه الثاني: أن المراد بذكر الله؛ أنهم كانوا في صلاتهم لا يذكرون الله إلا قليلا؛ وهو الذي يظهر مثل التكبيرات، فأما الذي يخفى مثل القراءة والتسبيحات فلا

([1])الطبري، جامع البيان، مجلد 4، ص 214.

([2])الطبري، جامع البيان، مجلد 4، ص 215.

([3])المقصود بالأجانب هنا: هم المؤمنون حقا، فهم بالنسبة للمنافقين أجانب.وهذا المعنى مستفاد من التعريف اللغوي للفظ أجنبي (انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، باب الجيم، ص 130).

يذكرونها، والوجه الثالث: المراد أنهم لا يذكرون الله في جميع الأوقات؛ سواء كان ذلك وقت الصلاة أو لم يكن وقت الصلاة إلا قليلا نادرا"[1].

ومع أن هذه الآية جاءت تصور حال المنافقين في المدينة، إلا أنها تبين حال كثير من المسلمين اليوم؛ فالصلاة عند هؤلاء روتيناً يومياً مجرداً من الخشوع واليقظة، وتشاغل الناس عن العبادة حتى حرموا أنفسهم لذّتها؛ فحريٌّ بنا ونحن نطالع أخبار الفئة المنافقة المذمومة أن ننأى بأنفسنا عن أن نكون مثلهم، وأن نعود للتعلق بحبل الذكر ففيه كل النجاة.

سادسا: قلة من لا يتبع الشيطان.

1ــ قال تعالى: **(وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَاتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلاً)**(النساء:83)

وموضوع اتباع الشيطان ونزول الآيات فيه من المواضيع التي ذكرت في القسمين المكي والمدني في القرآن الكريم؛ ذلك أن كيد الشيطان لا يعرف مكانا ولا زمانا، إنما هو متربص بذرية آدم في كل أحوالهم.

يراد به "ناسٌ من ضعفة المسلمين، الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال ولا استبطان للأمور، كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أمن أو خوف وخلل أذاعوا به وكانت إذاعتهم مفسدة. [2]"

وهذا يكشف مدى خطورة تفشي الإشاعة في المجتمعات على مدى العصور؛ إذ أنها من أشد الأوبئة تأثيراً على الناس وتوجيهاً لأفكارهم، هذا بالإضافة إلى ما يعيثه العملاء والجواسيس في البلاد العربية والإسلامية من فساد؛ إذ أنهم بخيانتهم لأُمتهم يكونوا ــ بلا شك ــ من أتباع الشيطان وأعوانه.

ويبين الإمام الرازي من خلال تفسيره لهذه الآية مخاطر الإشاعة، أوجزها في النقاط التالية:

" أولا: أن مثل هذه الإرجافات لا تنفك عن الكذب الكثير.

([1])الرازي، التفسير الكبير، ج 11، ص 84.

([2])الزمخشري، الكشاف، مجلد 1، ص 540.

ثانيا: الإشاعات تكون سببا للفتنة؛ لتأثيرها على ضعفاء المسلمين.
ثالثا: الإرجاف سبب لتوفر الدواعي على البحث والاستقصاء؛ فيحدث به انكشاف للأسرار، وهذا مخالف للمصلحة العامة.
رابعا: أن الصراع قائم بين فريقي الكفر والإيمان، فما كان أمنا لفريق كان خوفا للفريق الثاني؛ فيزداد تحصنه وتمكنه، وإذا أمن العدو يحصل الرعب في قلوب الضعفة والمساكين." [1]

ويصور سيد قطب سبب التنبيه إلى خطر الإشاعة، وارتباطها بالمجتمع المدني بقوله: " وعلى أية حال؛ فهي سمة المعسكر الذي لم يكتمل نظامه، أو لم يكتمل ولاؤه لقيادته، أو هما معا. ويبدو أن هذه السمة وتلك كانتا واقعتين في المجتمع المسلم حينذاك؛ باحتوائه على طوائف مختلفة المستويات في الإيمان، ومختلفة المستويات في الإدراك، ومختلفة المستويات في الولاء،...وهذه الخلخلة هي التي كان يعالجها القرآن بمنهجه الرباني"[2].

وإذا كان المرجفون في المدينة هم من تولى مهمة إذاعة الأخبار مهما كانت؛ فإن وسائل الإعلام الآن قامت مقامهم، وجنَّدت لخدمتها أجيالاً وعقولاً لا حصر لها، حتى أصبح الإنسان اليوم يتخبط في متاهات الأفكار لا يدري وجهاً للصواب.

سابعا:ــ التذكير بقلة الأقوام

ــ قال تعالى:**(وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)**(الأنفال: 26).

يوجه الله ــ تعالى ــ عباده وينبههم في هذه الآية الكريمة، إلى تذكر ما كانوا فيه من البلاء والخوف من الناس، " وهذا كان حال المؤمنين حال مقامهم بمكة، قليلين مستخفين مضطهدين، يخافون أن يتخطفهم الناس من سائر بلاد الله؛ من مشرك ومجوسي ورومي، كلهم أعداء لهم؛ لقلتهم وعدم قوتهم"[3].

([1])الرازي، التفسير الكبير، ج 10، ص 198.
([2])سيد قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص 468.
([3])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص287.

" يذكّر الحق - عز وجل - هنا صاحب الحال الأعلى بالماضي الأدنى، ليثبت له: أن الذي نقلك من أدنى حياة إلى أعلى حياة، موجود ولا يزال موجوداً، وما دام قد شاءت قدرته أن ينقلك من الأدنى للأعلى، فقدرته سبحانه وتعالى - إن شاءت - نقلتك من الأعلى إلى الأدنى. فإذا كنت في حال أعلى؛ إياك أن تنسى أنك كنت في حال أدنى. وعليك أن تعترف بجميل عطاء الخالق المنعم المتفضل وتقول: إن ربي القوي العظيم هو الذي وهبني ورفع مكانتي ولم أفعل ذلك بمهارتي، وحتى إن كنت قد ارتقيت بالمهارة، فالمهارة عطاء منه سبحانه وتعالى"[1]

ثم يبين ـــ عز وجل ـــ إنعامه عليهم بعد ذلك البؤس، بقوله:**(فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ)** وهذه نعم ثلاث:

أولها: الإيواء؛ و " آوى إليه بالمد والقصر، بمعنى:انضم إليه؛ فالمعنى: ضمكم إلى المدينة، أو إلى الأنصار"[2].

وثانيها: التأييد بالنصر؛ وذلك "بمظاهرة الأنصار، وبإمداد الملائكة يوم بدر"[3]

وثالثها: الرزق من الطيبات؛ وهي " الغنائم" [4] وهذه الغنائم " كانت محرمة على من كان قبل هذه الأمة "[5].

ثم قال تعالى:**(لعلكم تشكرون)**، يقول الإمام الرازي:" أي نقلكم من الشدة الى الرخاء، ومن البلاء الى النعماء والآلاء؛ حتى تشتغلوا بالشكر والطاعة، فكيف يليق بكم أن تشتغلوا بالمنازعة والمخاصمة بسبب الأنفال؟"[6].

ثامنا: تهديد المنافقين بقلة مجاورة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في المدينة:

1ــ قال تعالى:**(لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلاَّ قَلِيلاً)**(الأحزاب: 60).

([1])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مجلد 8، ص 4657.

([2])الشوكاني، فتح القدير، ج2، ص 308.

([3])الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 122.

([4])البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 3، ص 56.

([5])الرازي، التفسير الكبير، ج15، ص 151.

([6])الرازي، التفسير الكبير ، ج15، ص 151.

في هذه الآية الكريمة تهديد لتلك الفئة التي ظهرت في المجتمع المدني، وهؤلاء كما تحدثنا سالفا هم المنافقون الذين يبثون سمومهم في شرايين الأمة،ويلقون بالشائعات الفتاكة، هؤلاء لا يستحقون العيش في مجتمع نقي في طور البناء والتهذيب، لذلك حذرهم الله ــ عز وجل ــ والمعنى:" لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم، والفسقة عن فجورهم، والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء؛ لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التي تسوءهم وتنوءهم، ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة"[1].

وهذا ما وجدناه في سيرة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بإجلاء بني النظير وبني قريظة وبني قينقاع.

والاستثناء في قوله:"إلا قليلا" معناه:" لا يجاورونك إلا أقلّاء أذلّاء ملعونين"[2].

ويقول ابن عطية: "يحتمل أن يريد؛ إلا جوارا قليلا أو وقتا قليلا، ويحتمل أن يريد إلا عددا قليلا، كأنه قال: إلا أقلاء"[3].

ويبين صاحب روح المعاني سبب قلة الوقت الذي يجاورونه فيه وهو" ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه أو يلتقطون عيالاتهم وأنفسهم"[4]

وهذا جزاء من يحاول زعزعة بناء المجتمع السوي؛ لأنه كالآفة التي تنخر العظم وتهلك الجسم.

وهذا تنبيه لأمثالهم في كل مجتمع، والذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان، ولزوم اخراجهم من المجتمع وتطهيره منهم .

وأختم الحديث عن هذه الآية الكريمة باستدلال سيد قطب والذي يقول:" ومن هذا التهديد الحاسم ندرك مدى قوة المسلمين في المدينة بعد بني قريظة، ومدى سيطرة الدولة الإسلامية عليها، وانزواء المنافقين إلا فيما يدبرونه من كيد خفي؛ لا يقدرون على الظهور إلا وهم مهددون خائفون "

([1])الزمخشري، الكشاف، ج3، 247.

([2])ابن عطية، المحرر الوجيز، ج 4، ص400.

([3])ابن عطية ، المحرر الوجيز ، ج4، ص400.

([4])سيد قطب، في ظلال القرآن، مجلد 5، ص 2880.

تاسعا: اللطف الإلهي في إدارة غزوة بدر.

1ــ قال تعالى:**(وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى ٱللَّه تُرْجَعُ ٱلأُمُورُ يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوۤاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ)**(الأنفال:44،45)

وهذه الآيات تبين لطفاً خفياً منَّ الله به على الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمؤمنين يوم بدر؛ إذ يرى النبي المشركين قليلا في منامه " لا قوة لهم ولا وزن،فينبئ أصحابه برؤياه، فيستبشروا بها ويتشجعوا على خوض المعركة"[1].

ثم عند اللقاء في المعركة أيضا، يُري الله ــ عز وجل ــ المؤمنين المشركين قليلاً، والعكس أيضا؛ لتحصل بذلك حكمة عظيمة، وهي تقوية عزائم المؤمنين، ودخول الطمأنينة قلوبهم.

ويقول سيد قطب:" والرؤيا صادقة في دلالتها الحقيقية؛ فقد رآهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قليلا وهم كثيرٌ عددهم، ولكن قليلٌ غَناؤهم؛ قليلٌ وزنهم في المعركة"[2].

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن النصر لا يتحقق بكثرة عَدد أو قوة عُدد؛ وإنما هو تأييد إلهي خالص، يؤيد به عباده الذين يأخذون بما أمكنهم من الأسباب ثم يتوكلون على مسبب الأسباب.

ويفسر الشيخ الشعراوي قوله تعالى: **(يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوۤاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ)**(الأنفال:45) بقوله: " يُقصد بذلك ساعة حدوث المعركة ونشوب القتال؛ لأن الحرب تقتضي أولاً إعداداً، ثم تخطيطاً يتم قبل الالتحام ثم ذهاباً إلى مكان المعركة. وقوله تعالى: { إِذَا لَقِيتُمْ } أي أن المسألة قد وصلت إلى المواجهة مع الكفار ويقول الحق تبارك وتعالى: { فَٱثْبُتُواْ } والثبات هنا معناه المواجهة الشجاعة، لأن الإنسان إذا ما كان ثابتاً في القتال، فالعدو يخشاه ويهابه، وإن لم يكن كذلك فسوف يضطر إلى النكوص، وهذا ما يُجريء الكفار عليكم،وما دمتم قد جئتم إلى القتال، فلا بد أن يشهد الأعداء شجاعتكم؛ لأنكم إن فررتم فهذه

([1])سيد قطب، في ظلال القرآن، مجلد 10، ص 22.

([2])سيد قطب، المصدر نفسه، مجلد 10، ص 23.

شهادة ضعف ضدكم.ولذلك لا بد من التدريب على الثبات والقتال، وهذا هو الإعداد المسبق للحرب؛ بالتدريب القوي والتخطيط الدقيق، وألا يتولى أحد منكم ويفر لحظة الزحف لأن هذا العمل هو من أكبر الكبائر"[1] والحق سبحانه وتعالى يقول: **(وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ)** (الأنفال: 16).

عاشرا:ــ قلة فقه المنافقين.

1 ــ قال تعالى: **(سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلاَمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُواْ لاَ يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً)**(الفتح:15)

قوله: " سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ " هم " الذين تخلفوا عن الحديبية "[2]

يقول هؤلاء للمؤمنين:" إذا انطلقتم.." ويقصدون بذلك " غنائم خيبر"[3] فهؤلاء يريدون إتباع الرسول والمؤمنين بهدف أخذ الغنائم فقط.

" ومعنى قوله:"يريدون أن يبدلوا كلام الله" أحد أمرين:

الأول:أن يغيروا وعد الله لأهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم.

الثاني: تثبيط المسلمين عن الجهاد"[4]

ثم يوجه الله ــ عز وجل ــ نبيه ويأمره أن يقول لهم " لن تتبعونا" فلا حاجة للمسلمين بهم إذا كان قصدهم أخذ المغنم فقط، لكن ردهم على ذلك كان "بل تحسدوننا" وهذا يؤكد قصدهم من البداية بأنهم ما أرادوا إلا الغنائم.

بعدها يقول ــ عز وجل ــ **(**بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا**)**؛ أي "إلا فهما قليلا وهو فهمهم لأمور الدنيا، وهو رد لقولهم الباطل في المؤمنين، ووصفٌ لهم بما هو

([1])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مجلد 8، ص 4719.

([2])الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص 464.

([3])الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص 464.

([4])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص 192.

أعظم من الحسد وأطم، وهو الجهل المفرط وسوء الفهم في أمور الدين، وفيه إشارة إلى أن ردهم حكم الله تعالى، وإثباتهم الحسد لأُولئك السادة من الجهل وقلة التفكر"[1]

وقد كان هؤلاء أعدوا أعذارهم قبل مجيء الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال تعالى: (سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ) (الأنفال: 11).

فهو - سبحانه - "- لمَّا حَذر من النكث ورغَّب في الوفاء أتبع ذلك بذكر التخلف عن الانضمام إلى جيش النبي - صلى الله عليه وسلم - حين الخروج إلى عمرة الحديبية وهو ما فعله الأعراب الذين كانوا نازلين حول المدينة... بعد أن بايعوه على الخروج معه؛ فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما أراد المسير إلى العمرة استنفر مَن حول المدينة منهم ليخرجوا معه فيرهبه أهل مكة فلا يصدّوه عن عمرته فتثاقل أكثرهم عن الخروج معه،... وكانوا يومئذٍ لم يتمكن الإيمان من قلوبهم ولكنهم لم يكونوا منافقين، وأعَدّوا للمعذرة بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم أنهم شغلتهم أموالهم وأهلوهم، فأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بما بيتوه في قلوبهم وفضح أمرهم من قَبْلِ أن يعتذروا. وهذه من معجزات القرآن بالإخبار عما سيقع قبل وقوعه." [2]

الحادي عشر: العدل الإلهي في الميراث

1ــ قال تعالى: **(لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً)**(النساء: 7).

إن سورة النساء من أول آية فيها تؤصل لمجموعة من التكاليف، وتضع لها أساسا تنبثق من تكاليف مالية ملزمة.

حيث تقول أول آياتها: **(يٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَٱلأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)**(النساء: 1).

([1])الآلوسي، روح المعاني، ج 26، ص 102.

([2])ابن عاشور، التحرير والتنوير، مجلد 25، ص 169.

فهي تخاطب الناس بأصل الإنسانية،دون النظر إلى أي اعتبارات أخرى، ثم تلفت عناية الخلق إلى أنهم من نفس واحدة؛ بث الله منها الناس برجالهم ونسائهم، ثم توجههم الآية إلى ضرورة التقوى وصيانة حقوق الأرحام؛ اعتبارا لأصل خلقهم، وهذه الأصول إذا تقررت في النفوس أصبح من اليسير على النفس سرعة الاستجابة للأوامر التالية، والتي وردت من خلال آياتها:

أولا: إعطاء اليتامى أموالهم.

ثانيا: إعطاء النساء صدقاتهن.

ثالثا: العناية برزق السفهاء وكسوتهم.

رابعا: العدل في الميراث ودليله الآية التي بين أيدينا، وسيأتي بيانها لاحقا.

خامسا: إعطاء أولي القربى والمساكين ممن حضروا القسمة من الميراث.

سادسا: بيان تفصيلي للحقوق المالية في الميراث.

ثم يختم ذلك كله بقوله ــ عز وجل ــ **(تلك حدود الله)**ومعنى ذلك أن هذه الأوامر من الله فلا ينبغي تجاوزها إلى غيرها.

أما معنى قوله تعالى: **(لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً)**(النساء: 7). "للذكور من أولاد الرجل الميت حصة من ميراثه، وللإناث منهم حصة منه؛ من قليل ما خلف بعده وكثيره حصة مفروضة...وذُكر أن هذه الآيات نزلت من أجل أن أهل الجاهلية كانوا يورثون الذكور دون الإناث"[(1)]

وفائدة قوله تعالى: **(مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً)** "دفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال"[(2)]

ويدل ذلك على قسمة الميراث وإعطاء صاحب الحق حقه ولو كان قليلاً .

ويقول الإمام ابن كثير:" أي الجميع فيه سواء في حكم الله تعالى، يستوون في أصل الوراثة، وإن تفاوتوا بحسب ما فرض الله لكل منهم بما يدلي به إلى الميت من قرابة أو زوجية أو ولاء؛ فإنه لُحمة كلُحمة النسب." [(1)]

([1])الطبري، جامع البيان، ج 1، ص 262.

([2])الآلوسي، روح المعاني، ج 4، ص 211.

نتائج المبحث :

وردت لفظة القلة في الآيات المدنية في سياق الحديث عن الاشتراء بآيات الله ثمناً قليلاً، وذلك كما وردت في القسم المكي.

وكذلك جاءت تتحدث عن قلة أهل الإيمان وهذا يدل على أن هذه الظواهر مما لا يخلو منها مجتمع مهما اختلفت خصائصه وتركيبته.

أما الحديث عن قلة متاع الدنيا فهو أيضاً مما جاءت به الآيات المكية والمدنية لأنه أمر كوني لا دخل للظروف البشرية به.

أما ما تميزت به الآيات المدنية فهو الحديث عن قلة الملبين لنداء الجهاد؛ وذلك لن يكون عائقاً أمام إنفاذ وعد الله بنصر المؤمنين، كما حدث في عدد من الغزوات التي وقعت.

ومما تميزت به أيضاً الآيات المدنية، قلة مجاورة المنافقين للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في المدينة؛ لما يثيرونه من إشاعات ومخاطرها على وحدة النسيج الإيماني.

([1])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 430.

الفصل الثالث

دلالة الكثرة في القرآن الكريم

1.3 دلالة الكثرة في القسم المكي في القرآن الكريم:

أولاً: كثرة الذين لا يعلمون.

وهذا الموضوع اختصت بذكره الآيات المكية؛ وقد جاءت على النحو التالي:

1ـ قال تعالى: **[وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلٍ آيَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)**(الأنعام: 37).

معنى هذه الآية أن المشركين كانوا يقولون:" لولا نزل عليه آية من ربه؛ أي: خارقٌ، على مقتضى ما كانوا يريدون ومما يتعنتون "[(1)]

يقول الإمام الرازي في ذلك:" اعلم أن هذا من شبهات منكري نبوّة محمد - صلى الله عليه وسلم ـ؛ وذلك لأنهم قالوا: لو كان رسولاً من عند الله فهلا أنزل عليه آية قاهرة ومعجزة باهرة "[(2)]

وذلك كقولهم: **[وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلأَرْضِ يَنْبُوعاً)** (الإسراء: 90).

ثم يوجه الله تعالى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقول لهم " إن الله قادر على أن ينزل آية، يعني: حجة على ما يريدون ويسألون **[وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)** يقول: ولكن أكثر الذين يقولون ذلك فيسألونك آية، لا يعلمون ما عليهم في الآية إن نزلها من البلاء، ولا يدرون ما وجه ترك إنزال ذلك عليك، ولو علموا السبب الذي من أجله لم أنزلها عليك لم يقولوا ذلك ولم يسألوكه، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك "[(3)].

ويوضح صاحب روح المعاني ذلك بقوله:" فلا يدرون أن عدم تنزيلها مع ظهور قدرته ـ سبحانه وتعالى ـ عليه؛ لما أن في تنزيلها قلعاً لأساس التكليف

([1])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 124.

([2])الرازي، التفسير الكبير، ج 12، ص 210.

([3])الطبري، جامع البيان، مج 5، ص 185.

المبني على قاعدة الاختيار، أو استئصالاً لهم بالكلية؛ إذ ذلك من لوازم جحد الآية الملجئة." [1]

2ـ قال تعالى: **[وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوۤاْ إِلاَّ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)**(الأنعام: 111).

وهذه الآية مرتبطة بالآية السابقة ارتباطاً واضحاً؛ إذ تبين ردة فعلهم لو تم إنزال الآيات عليهم.

" فقوله: **[**وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَآئِكَةَ**)** كما قالوا:**(وَقَالَ ٱلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِيۤ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً)** (الفرقان: 21) وقوله: **(**وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ**)** كما قالوا:**(فَأْتُواْ بِآبَآئِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)** (الدخان: 36).، وقوله: **(**وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً**)** كما قالوا: **[أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلاۤئِكَةِ قَبِيلاً)** (الإسراء: 92)، ومعنى " قبيلاً": كفلاء بصحة ما بشرنا به وأنذرنا، أو جماعات "[2].

" والإستدراك بقوله: **[**وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ **)**راجعٌ إلى قوله: **[** إِلاَّ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ **)** المقتضي أنهم يؤمنون إذا شاء الله إيمانهم،....ويجوز أن يكون الاستدراك راجعاً إلى ما تضمنه الشرط وجوابه: من انتفاء إيمانهم مع إظهار الآيات لهم؛ أي لا يؤمنون، ويزيدهم ذلك جهلاً على جهلهم... وإسناد الجهل إلى أكثرهم لإخراج قليل منهم، وهم أهل الرأي والحلم؛ فإنهم يُرجى إيمانهم، لو ظهرت لهم الآيات "[3].

3ـ قال تعالى: **[فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلاۤ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)** (الأعراف: 131).

([1])الآلوسي، روح المعاني، ج 7، ص 142.

([2])الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 35.

([3])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 8، ص 7.

هذه الآية الكريمة جاءت بالحديث عن آل فرعون، وحالهم مع موسى ـــ عليه السلام ـــ " فإذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار، ورأوا ما يحبون في دنياهم **[قَالُواْ لَنَا هَـٰذِهِ)** نحن أولى بها، **[وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ)**؛ يعني جدوب وقحوط وبلاء**[يَطَّيَّرُواْ)** يقول: يتشائموا بهم ويقولوا: ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والخصب والعافية مذ جاءنا موسى ـــ عليه السلام ـــ." [1]

وقوله: **(أَلآ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ)** يقول الشيخ الشعراوي:" والحق هنا يوضح: لا تظلموا موسى؛ لأن شؤمكم أو حظكم السيء ليس من موسى؛ لأن موسى لا يملك في كون الله شيئاً، وإنما المالك للكون هو رب موسى "[2].

(وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ **)** أي لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون، وإسناد عدم العلم إلى أكثرهم؛ للإشعار بأن بعضهم يعلم لكن لا يعمل بمقتضى علمه." [3]

4ـــ قال تعالى: **(وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ ٱلأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)** (يوسف: 21).

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن قصة يوسف ـــ عليه السلام ـــ وكيف أن الله ـــ تعالى ـــ مكن له في الأرض بعد أن ألقاه أخوته في الجُب، " وقد بدأ التمكين له في الأرض من لحظة دخوله إلى بيت عزيز مصر، ليحيا حياة طيبة، وليعلمه الله تأويل الحديث؛ بأن يهبه القدرة على تفسير الرؤى والأحلام، وليغلب الله على أمره "[4]، وفي قوله ـــ تعالى ـــ:**(وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ)** وجهان:" الأول: غالبٌ على أمر نفسه؛ لأنه فعالٌ لما يريد لا دافع لقضائه ولا مانع عن حكمه في أرضه وسمائه، والثاني: والله غالب على أمر يوسف، يعني؛ إن انتظام أموره كان إلهياً، وما كان بسعيه، وأخوته أرادوا به كل سوء ومكروه، والله

([1])الطبري، جامع البيان، مج 6، ص 30.

([2])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 7، ص 4316.

([3])الآلوسي، روح المعاني، ج 9، ص 32.

([4])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 11، ص 6899.

أراد به الخير، فكان كما أراد الله ــ تعالى ــ ودبر **(وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)** أن الأمر كله بيد الله "[1].

يقول ابن عطية في تفسيره: " وأكثر الناس الذين نفى عنهم العلم هم الكفرة "[2].إلا أن الإمام الطبري يقول " أكثر الناس الذين زهدوا في يوسف فباعوه بثمن خسيس، والذين صار بين أظهرهم من أهل مصر حين بيع فيهم، لا يعلمون ما الله بيوسف صانع، وإليه يوسف من أمره صائر "[3].

5ــ قال تعالى: **(مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُمْ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلاَّ للَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوۤاْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)** (يوسف: 40).

في هذه الآية الكريمة يبين الله ــ عز وجل ــ ما كان من يوسف ــ عليه السلام ــ في السجن، وكيف أنه استغل كل لحظة في الدعوة إلى الله ــ تعالى ــ فقد سأله الفتيان عن تأويل رؤياهما، فأخذ يوسف ــ عليه السلام ــ بالتطرق إلى قضية التوحيد والدعوة إلى الله ــ عز وجل ــ.

ومن خلال النظر في هذا المشهد من قصة يوسف ــ عليه السلام ــ تظهر لنا أخلاق الداعية إلى الله؛ حيث أنه لم يعف نفسه من واجب الدعوة في أحلك الظروف وأقساها عليه، وهي هنا سجنه ظلماً وبهتاناً، ثم أنه خاطب المدعوين باللين والرفق **(يٰصَاحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ)** (يوسف: 39)، مع أنهما كانا على الضلال، وهذا درسٌ على الدعاة تعلمه وإدراكه، ثم أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتخير الطريق الأوجه في تبليغ رسالة الوحدانية؛ فهو " لا يدعوهما إليها دعوة مباشرة إنما يعرضها قضية موضوعية **(ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ)**وهو سؤال يهجم على الفطرة في أعماقها ويهزها هزاً شديداً."[4]

([1])الرازي، التفسير الكبير، ج 18، ص 112.

([2])ابن عطية، المحرر الوجيز، ج 3، ص 231.

([3])الطبري، جامع البيان، مج 7، ص 174.

([4])سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 4، ص 237.

" ثم يبين لهما أن التي يعبدونها ويسمونها آلهة إنما هو جهل منهم، وتسمية من تلقاء أنفسهم، تلقاها خلَفهم عن سلفهم وليس لذلك مستند من عند الله " [1].

ثم يقول الحق على لسان يوسف ــ صلى الله عليه وسلم ــ: **(يٰصَاحِبَيِ ٱلسِّجْنِ)** فلم يعين من هو صاحب البشرى، ومن هو صاحب المصير السيء؛ تلطفاً وتحرجاً من المواجهة بالشر والسوء " [2]

وهذا من كمال أخلاقه التي يجب أن يتوسمها الدعاة في كل زمان ومكان.

6 ــ قال تعالى: **(وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)** (يوسف: 68).

تبين هذه الآية مشهداً آخر من قصة يوسف ــ عليه السلام ــ وكيف أن يعقوب ــ عليه السلام ــ أمر بنيه بالدخول من أبواب متفرقة لخوفه عليهم العين " لجمالهم وجلالة أمرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوؤهم " [3].

ولكن لعلمه ــ عليه السلام ــ وثقته بالله فإنه استدرك بقوله أنه لا يغني عنهم من الله شيء، لذلك مدحه الله ــ تعالى ــ بقوله **[وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ)** وفيه وجهان: " الأول: أن المراد بالعلم الحفظ، أي أنه لذو حفظ لما علمناه ومراقبة له، والثاني: لذو علم بفوائد ما علمناه وحسن آثاره، وهو إشارة إلى كونه عاملاً بما علمه، ثم قال: **[وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)**

وفيه وجهان: الأول: ولكن أكثر الناس لا يعلمون مثل علم يعقوب، والثاني: لا يعلمون أن يعقوب بهذه الصفة والعلم؛ والمراد بأكثر الناس المشركون، فإنهم لا يعلمون بأن الله أرشد أولياءه إلى العلوم التي تنفعهم في الدنيا والآخرة "[4].

7ــ قال تعالى: **[وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)** (النحل: 38).

([1])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 460.

([2])سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 4، ص 728.

([3])الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 266.

([4])الرازي، التفسير الكبير، ج 18، ص 180.

" يقول ـــ تعالى ـــ مخبراً عن المشركين: أنهم حلفوا فأقسموا بالله جهد أيمانهم؛ أي استبعدوا ذلك، وكذبوا الرسل في إخبارهم لهم بذلك، وحلفوا على نقيضه فقال تعالى مكذباً لهم، وراداً عليهم [بَلَىٰ) أي: بلى سيكون ذلك [وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً) أي: لا بد منه "[1].

ثم يقول ـــ عز وجل ـــ: [وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) أي: لا يعلمون " أنهم يبعثون أو أنه وعدٌ واجب على الله "[2].

8ـــ قال تعالى: **[ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)** (النحل: 75) وهذا المثل يضربه الله ـــ عز وجل ـــ في سياق إثبات التوحيد فإن " ما قبل هذه الآية وما بعدها إنما ورد في إثبات التوحيد، وفي الرد على القائلين بالشرك "[3].

وتفسير هذا المثل كما أورده الإمام الرازي " أن المراد أنا لو فرضنا عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء، وفرضنا حراً كريماً غنياً كثير الإنفاق سراً وجهراً؛ فصريح العقل يشهد بأنه لا تجوز التسوية بينهما في التعظيم والإجلال، فلما لم تجز التسوية بينهما.... فكيف يجوز للعاقل أن يسوي بين الله القادر على الرزق و الإفضال، وبين الأصنام التي لا تملك ولا تقدر ألبتة." [4]، وهذا ينقلنا إلى عدم التسوية بين المتفاوتين في كل أمر.

9ـــ قال تعالى: **[وَإِذَا بَدَّلْنَآ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوۤاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)** (النحل: 101).

وفي هذه الآية الكريمة " يخبر ـــ تعالى ـــ عن ضعف عقول المشركين، وقلة ثباتهم وإيقانهم، وأنه لا يتصور منهم الإيمان، وقد كتب عليهم الشقاوة وذلك أنهم إذا رأوا تغيير الأحكام ناسخها بمنسوخها، قالوا لرسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ:

([1])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 550.

([2])الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 329.

([3])الرازي، التفسير الكبير، ج 20، ص 84.

([4])الرازي، التفسير الكبير، ج 20، ص 83.

[إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ) أي: كذاب، وإنما هو الرب ــ تعالى ــ يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد "[1].

وقوله تعالى: ": [بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) قصد به: أنهم " لا يعلمون شيئاً أصلاً أو لا يعلمون أن في التبديل المذكور حكماً بالغة، وإسناد هذا الحكم إلى أكثرهم؛ لما أن منهم من يعلم ذلك وإنما ينكر عناداً " [2].

10ــ قال تعالى: [أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ) (الأنبياء: 24).

يقول الإمام الرازي " اعلم أن الكلام من أول السورة إلى ههنا كان في النبوات وما يتصل بها من الكلام سؤالاً وجواباً، وأما هذه الآيات فإنها في بيان التوحيد ونفي الأضداد والأنداد " [3].

وهذه الآيات التي يقصدها الإمام الرازي هي قوله ــ تعالى ــ: [أَمِ ٱتَّخَذُوۤاْ آلِهَةً مِّنَ ٱلأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلاَّ ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ *لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ* أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ) (الأنبياء: 21ــ 24).

فبعد أن يسوق ــ تعالى ــ لهم الدلائل على وحدانيته، يطالبهم بالدليل على ما ذهبوا إليه [أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ) على لسان نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ، فيقول لهم: هذا القرآن وما سبقه من الكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء السابقين كلها شاهدةٌ على وحدانيته ــ عز وجل ــ [بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ) و " هذا إضراب من جهته ــ سبحانه ــ وانتقال من تبكيتهم بمطالبتهم بالبرهان إلى بيان أنه لا يؤثر فيهم إقامة البرهان لكونهم جاهلين للحق لا يميزون بينه وبين الباطل "[4].

([1])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 567.

([2])الآلوسي، روح المعاني، ج 14، ص 231.

([3])الرازي، التفسير الكبير، ج 22، ص 149.

([4])الشوكاني، فتح القدير، ج 3، ص 476.

ونتيجة جهلهم هذا أعرضوا عن الحق ولم يقبلوه، قال تعالى: [فَهُمْ مُّعْرِضُونَ).

11ـ [أَمَّن جَعَلَ ٱلأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَآ أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) (النمل: 61).

وفي هذه الآية الكريمة يضع ـ سبحانه وتعالى ـ أمام الناس صورة مما يشاهدونه ولا يستطيعون إنكاره؛ ليهتدوا من ذلك إلى خالقهم فلا يشركون به شيئاً.

والأرض هنا هي الخلفية الكبيرة لهذا المشهد وفيها أنه ـ تعالى ـ:

1ـ جعلها قراراً: "يقال: قَرَّ في مكانه يَقِرُّ قراراً إذا ثبت ثبوتاً جامداً "[1] وقراراً " مصدر قر؛ إذا ثبت وسكن " [2] وذلك لأن قرارها أصلُ إمكانية العيش عليها.

2ـ جعل خلالها أنهاراً: ولا تخفى فائدة ذلك؛ لأنها عذبة فيستفاد منها في مجالات الحياة كلها.

3ـ جعل لها رواسي: والرواسي:" هي الجبال الثابتة الراسية "[3]، وفي سورة النحل بين الفائدة منها بقوله:[وَأَلْقَىٰ فِي ٱلأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (النحل: 15).

4 ـ جعل بين البحرين حاجزاً: أي؛" جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزاً؛ أي مانعاً يمنعها من الإختلاط؛ لئلا يفسد هذا بهذا، وهذا بهذا، فإن الحكمة الإلهية تقتضي بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه "[4].

ثم يوجه ـ تعالى ـ الخطاب لعقول هؤلاء، ويطرح أمامهم قضية موضوعية ليفهموا المراد بأنفسهم، فيقول: [أَإِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللهِ) أي " في الوجود أو في إبداع هذه البدائع " [5].

([1])الأصفهاني، المفردات، باب القاف، ص 514.

([2])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 20، ص 13.

([3])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 17، ص 10816.

([4])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 357.

([5])الآلوسي، روح المعاني، ج 20، ص 6.

[بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) ، يقول ابن عاشور في ذلك: " وأوثر هنا نفي صفة العلم عن أكثر المشركين لقلة من ينظر في دقائق هذه المصنوعات وخصائصها منهم؛ فإن اعتياد مشاهدتها من أول نشأة الناظر يذهله عما فيها من دلائل بديع الصنع، فأكثر المشركين يجهل ذلك ولا يهتدي بما فيه، أما المؤمنون فقد نبههم القرآن إلى ذلك فهم يقرأون آياته المتكرر فيها الإستدلال والنظر "[1].

والآية دالةٌ على وجوب النظر في آيات الله عز وجل .

12ـ قال تعالى: [فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) (القصص: 13).

والحديث هنا عن موسى ـ عليه السلام ـ حين رده الله إلى أمه بعد أن أصبح في قبضة عدو الله وعدوهما؛ فأمنت بعد خوفها وتحقق وعد الله لها حين قال :[وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِيۤ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ) (القصص: 7).

ولكن أكثر الناس لا يعلم أن " وعد الله حق " [2].

وإذا سألنا عن وجه إيراد هذه القصة في القسم المكي من القرآن الكريم، نجد أن سيد قطب يبدع في تصوير أهمية ذلك، فيقول في ظلاله: " هذه السورة مكية، نزلت والمسلمون في مكة قلة مستضعفة، والمشركون هم أصحاب الحول والطول والجاه والسلطان، نزلت تضع الموازين للقوى والقيم، نزلت تقرر أن هناك قيمة واحدة في هذا الكون، هي قيمة الإيمان "

ثم يضيف مصوراً إنفاذ قدرة الله على الرغم من حذر عدوه فرعون وسطوته؛ فها هي " قوة فرعون المتجبر اليقظ الحذر، وفي مواجهتها موسى طفلاً رضيعاً لا حول له ولا قوة...وهو في حراسة القوة الحقيقية الوحيدة ترعاه عين العناية، وتدفع عنه السوء " [3].

([1])ابن عاشور ، التحرير والتنوير، ج 20، ص 14.

([2])الطبري، جامع البيان، مج 10، ص 40.

([3])سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 6، ص 317.

13ــ قال تعالى:[وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقاً مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) (القصص 57). " يقول ــ تعالى ذكره ــ: وقالت كفار قريش: إن نتبع الحق الذي جئتنا به معك، ونتبرأ من الأنداد والآلهة يتخطفنا الناس من أرضنا بإجماع جميعهم على خلافنا وحربنا "[1].

فهم من خلال هذه الآية يعرفون أن ما جاء به محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ هو الحق؛ لذلك أسموه " الهدى "، لكن ما يمنعهم من اتباعه هو ما ذكروه من خشية الناس.

لكنه ــ تعالى ــ أجابهم على ذلك بقوله:[أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقاً مِّن لَّدُنَّا) ؛ أي: " أعطيناكم مسكناً لا خوف لكم فيه، إما لأن العرب كانوا يحترمون الحرم وما كانوا يتعرضون ألبتة لسكانه [2]... أو لقوله: [فِيهِ ءَايَٰتٌ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَللَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ) (آل عمران: 97).

[وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) ؛ أي: "جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك، وقيل: هو متعلق بقوله: [رِّزْقاً مِّن لَّدُنَّا) ؛ أي: قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزقٌ من عند الله ــ تعالى ــ؛ إذ لو علموا لما خافوا غيره "[3].

وهذه الآية ترشدنا إلى وجوب الاستدلال والقياس لاستظهار الحق .

14 ــ قال تعالى: [وَعْدَ ٱللَّهِ لاَ يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) (الروم: 6). " نزلت الآيات الأولى من هذه السورة بمناسبة معينة، ذلك حين غلبت فارس على الروم فيما كانت تضع يدها من جزيرة العرب، وكان ذلك إبان احتدام الجدل حول العقيدة بين المسلمين السابقين إلى الإسلام في مكة والمشركين... ولما كان الروم في ذلك الوقت أهل كتاب دينهم النصرانية، وكان

([1])الطبري، جامع البيان، مج 10، ص 89.

([2])الرازي، التفسير الكبير، ج 25، ص 3.

([3])أبو السعود، الإمام محمد بن محمد العمادي (951هــ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي بيروت ــ لبنان، ج 7، ص 19.

الفرس غير موحدين ديانتهم المجوسية، فقد وجد المشركون من أهل مكة في الحادث فرصة لاستعلاء عقيدة الشرك على عقيدة التوحيد، وفألاً بانتصار ملة الكفر على ملة الإيمان "[1].

[وَعْدَ ٱللَّهِ) ؛ أي: " وعد الله لا يخلفه، وهو ظهور الروم على فارس [وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) أن الله لا يخلف وعده، وهم الكفار، وقيل: كفار مكة على وجه الخصوص "[2]. وهذه الآية تحث على الثقة بوعد الله عز وجل .

15ــ قال تعالى:[**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**) (الروم: 30).

يقول ــ تعالى ذكره ــ:" فسدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك ربك يا محمد لطاعته"[3]

ويقرر ــ سبحانه ــ أن الإنسان بفطرته السليمة يتوجه إلى خالقه، [فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا).

وقوله ــ تعالى ــ: [لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ) معناه: " لا تبدلوا خلق الله، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، فيكون خبراً بمعنى الطلب " [4]

ويبين ابن عاشور سبب الاستدراك في قوله : [وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) بقوله: إن ذلك " لدفع توهم واهم يقول: إذا كان هو دين الفطرة، وهو القيم؛ فكيف أعرض كثير من الناس عنه بعد تبليغه ؟، فاستدرك أن ذلك لأنهم جهال لا علم عندهم، فإن كان قد بلغهم فإنهم جهلوا معانيه لإعراضهم عن التأمل "[5].

وهذه الآية تدل على أن الكفر قد يكون حاصل بسبب الجهل والتشويه الذي يحيط بالحق أحياناً .

([1])سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 6، ص 434.

([2])الشوكاني، فتح القدير، ج 21، ص 247.

([3])الطبري، جامع البيان، مج 10، ص 182.

([4])ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج 3، ص 417.

([5])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 21، ص 94.

والمراد بأكثر الناس " المشركون؛ إذ أعرضوا عن دعوة الإسلام،وأهل الكتاب إذ أبوا اتباع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ "[1].

16ــ قال تعالى: [وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (لقمان: 25).

وهذه الآية إخبارٌ عن المشركين، وكيف أنهم يقرون بالله خالقاً للسموات والأرض، ثم يتولون عن عبادته، يقول ابن كثير: " يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء المشركين به: أنهم يعرفون أن الله خالق السموات والأرض وحده لا شريك له، ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون أنها خلقٌ له وملك له "[2].

[قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ) وهنا " إلزام لهم على إقرارهم بأن الذي خلق السموات والأرض هو الله وحده، وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر، وأن لا يُعبد معه غيره "[3].

[بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)؛ أي:" ليس لهم علم يمنعهم من تكذيبك مع اعترافهم بما يوجب تصديقك "[4]، إلا أنه الجحود والتناقض لا غير .

17 ــ قال تعالى:[وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (سبأ: 28).

تخاطب الآية الكريمة محمداً ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتعلمه أنه أرسل للبشرية جمعاء، يبشرهم وينذرهم و " هذه هي حدود الرسالة العامة للناس جميعاً... التبشير والإنذار، وعند هذا الحد تنتهي؛ أما تحقيق هذا التبشير وهذا الإنذار فهو من أمر الله "[5].

[وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك " لا لخفائه ولكن لغفلتهم "[6]، والآية جاءت دالةٌ على النهي عن هذه الغفلة .

([1])ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج 21، ص 94.

([2])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 434.

([3])الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص215.

([4])الرازي، التفسير الكبير، ج 25، ص 155.

([5])سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 6، ص 650.

([6])الرازي، التفسير الكبير، ج 25، ص 258.

18ـ قال تعالى: [قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) (سبأ: 36).

بسط الرزق: يعني " تيسيره وتكثيره، استعير له البسط وهو نشر الثوب ونحوه؛ لأن المبسوط تكثر مساحة انتشاره " [(1)].

وقدر الرزق: هو " عسر التحصيل عليه وقلة حاصله؛ استعير له القدر أي: التقدير وهو التحديد؛ لأن الشيء القليل يسهل عده وحسابه [(2)]، ولذلك قيل في ضده: [زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (البقرة: 212).

وقضية بسط الرزق لبعض الخلق وتقديره على آخرين، قد يُشكل على ضعاف العقول؛ فيظنون أن رضا الخالق وسخطه مرتبط بهذه القضية، " فالحق سبحانه يبسط الرزق لمَنْ يشاء ويقدر؛ لأنه سبحانه يريد أن يضع الإنسانُ نفسه دائماً في مقام الخلافة في الأرض، ولا ينسى هذه الحقيقة، فيظن أنه أصيل فيها"[(3)]، فقوله: [وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) أي: " أن الأكثرية لا يعلمون حكمة الله في تفاوت الأرزاق، وهذا يعني أن قلة منهم هم الذين يعلمون [(4)]".

19 ـ قال تعالى: [ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) (الزمر: 29).

يضرب الله الأمثال للناس، ويضع أمامهم صوراً ودلائل ليعتبروا، وهذه إحدى هذه الصور والتي تبين حال أهل الشرك الذين يتخبطون في ضلالهم وحال أهل التوحيد الذين يشعرون باستقرار في علاقتهم مع خالقهم، وهذه الصورة يمثلها ـ عز وجل ـ فيقول لنبيه: " اضرب لقومك مثلاً، وقل لهم: ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع: كل واحد منهم يدعي أنه عبده...، وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له؛ فهو معتنق لما لزمه من خدمته،

([1])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 22، ص 214.

([2])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 22، ص 214.

([3])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 20، ص 12352.

([4])الشعراوي، تفسير الشعراوي ، مج 20، ص 12352.

معتمدٌ عليه فيما يصلحه، فهمه واحد وقلبه مجتمع؛ أي هذين العبدين أحسن حالاً وأجمل شأناً ؟"[1].

[هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً)، وفي ذلك " إنكار واستبعاد لاستوائهما، ونفي له على أبلغ وجه وآكده، وإيذانٌ بأن ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر أحد أن يتفوه باستوائهما"[2].

وقوله: [بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) معناه: " بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أنهما لا يستويان؛ فهم بجهلهم بذلك يعبدون آلهة شتى من دون الله"[3].

20ــ قال تعالى: [**فَإِذَا مَسَّ ٱلإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**) (الزمر:49).

والناظر في حال الناس يجدهم كما وصفهم ربهم ــ عز وجل ــ؛ إذا أتاهم ما يكرهون دعوا الله مخلصين له الدين، فإذا كشف عنهم ما يجدون نسوا ما كانوا يدعون من قبل، لا بل يتمرد ويتجبر فيقول: [إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) أي:" لما يعلم الله ــ تعالى ــ من استحقاقي له، ولولا أني عند الله خصيص لما خولني هذا "[4].

فيقول عز وجل [بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ) ومعناه: أن النعمة التي أعطاها هذا الكافر إنما هي فتنة " لأن عند حصولها يجب الشكر وعند فواتها يجب الصبر، ومن هذا حاله يوصف بأنه فتنة؛ من حيث أنه يختبر عنده حال من أوتي النعمة، كما يقال: فتنت الذهب بالنار،إذا عرضته على النار لتعرف خلاصته." [5].

[وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) أي " لا يعلمون أن ذلك استدراج لهم من الله وامتحان لما عندهم من الشكر أو الكفر "[6]، وهنا دلالة على الحذر من ذلك الاستدراج والتنبه له .

([1])الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص 346.

([2])الآلوسي، روح المعاني، ج 24، ص 262.

([3])الطبري، جامع البيان، مج 10، ص 632.

([4])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 59.

([5])الرازي، التفسير الكبير، ج 26، ص 288.

([6])الشوكاني، فتح القدير، ج 24، ص 537.

21ـ قال تعالى:[لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] (غافر: 57).

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق مجادلة الكفار للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ " ومجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على إنكار البعث، وهو أصل المجادلة ومدارها؛ فحجوا بخلق السموات والأرض لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها وبأنها خلق عظيم لا يقادر قدره "[1] .

قال تعالى: [وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] (لقمان: 25).

وقد تقدم بيان ما فيها من غفلتهم وضلالهم.

[بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] يقول صاحب روح المعاني في بيان هؤلاء الأكثر: " وهم الكفرة، ولما كان ما قبل لإثبات البعث الذي يشهد له العقل وتقتضيه الحكمة اقتضاءً ظاهراً؛ ناسب نفي العلم عمن كفر به؛ لأنهم لو كانوا من العقلاء الذين من شأنهم التدبر والتفكر فيما يدل عليه لم يصدر منهم إنكاره "[2]، وهنا دلالةٌ على وجوب التدبر والتفكر فيما حولنا من موجودات .

22ـ قال تعالى: [وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ * مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] (الدخان: 38ـ39). والحديث عن السموات والأرض هنا يرتبط بقضية البعث ومجادلة من ينكره، والمعنى كما يقول ابن عاشور: " أنه لو لم يكن بعثٌ وجزاء لكان خلق السموات والأرض وما بينهما عبثاً، ونحن خلقنا ذلك كله بالحق؛ أي بالحكمة كما دل عليه إتقان نظام الموجودات، فلا جرم اقتضى ذلك أن يُجازى كل فاعل على فعله وأن لا يُضاع ذلك "[3].

وفي قضية البعث والنشور أيضاً، وتبكيت أهل التكذيب في ذلك تأتي الآية التالية من سورة الجاثية.

([1])الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص 375.

([2])الآلوسي، روح المعاني، ج 24، ص 79.

([3])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 25، ص 310.

23ــ قال تعالى: [**قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**) (الجاثية: 26).

يقول الإمام الرازي في هذه الآية: " لما ثبت أن الإحياء من الله تعالى، وثبت أن الإعادة مثل الإحياء الأول، وثبت أن القادر على الشيء قادرٌ على مثله، ثبت أنه تعالى قادرٌ على الإعادة، وثبت أن الإعادة ممكنة في نفسها، وثبت أن القادر الحكيم أخبر عن وقت وقوعها فوجب القطع بكونها حقةٌ "[1].

لكن جهل أكثر الناس بذلك منعهم من إدراك الحق؛ فإعراضهم جنى عليهم " فلهذا ينكرون المعاد ويستبعدون قيام الأجساد "[2]، والآيات جاءت تبين عاقبة الإعراض عن التدبر .

24ــ قال تعالى:[**وَإِن يَرَوْاْ كِسْفاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطاً يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ * فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ * يَوْمَ لاَ يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**) (الطور: 44ــ 47).

وهذه الآيات تصف عناد المشركين وطغيانهم؛ فهي تحث في دلالتها على أخذ العبرة والعظة، وتبين جزاؤهم يوم القيامة، لكن للذين ظلموا عذاباً " دون يوم القيامة؛ وهو ابتلاؤهم في الدنيا بالمصائب "لعلهم يرجعون وينيبون، لكنهم لا يفهمون ما يُراد بهم بل إذا جُلي عنهم مما كانوا فيه عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه "[3].

ثانياً: كثرة الذين لا يؤمنون.

وهذه الصفة مما عرفت بها الأمم السابقة؛ فكلما أتى نبي كريم برسالة كان أتباعه قلة مستضعفة، وكانت الكثرة لأتباع الباطل، وهذا الحال نابع من الشعور بأن اجتماع كثيرٌ من الناس على أمر ما دليلٌ على أنه حق، وهذا مما لا يصح غالباً.

وقد جاءت الآيات الكريمة في هذا الموضوع على النحو التالي:

([1])الرازي، التفسير الكبير، ج 27، ص 271.

([2])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 147.

([3])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ج 4، ص 246.

1ــ قال تعالى:[وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ * وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِٱللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ) (يوسف 103ــ 106).

" يقول تعالى لمحمد بعد أن قص عليه نبأ أخوة يوسف، وكيف رفعه الله عليهم، وجعل له العاقبة والنصر والملك والحكم، مع ما أرادوا له من السوء والهلاك والإعدام: هذا وأمثاله يا محمد من أخبار الغيوب السابقة نوحيه إليك ونعلمك به يا محمد لما فيه من العبرة لك، والاتعاظ لمن خلفك... ومع هذا ما آمن أكثر الناس "[1] فالآيات الكريمة تبين حرص النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبذله أقصى طاقته في دعوة الناس إلى الإيمان، يقول الزمخشري في تفسير[وَلَوْ حَرَصْتَ) أي:" تهالكت على إيمانهم "[2].

ويقول تعالى في سورة الكهف: [فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفاً) (الكهف: 6) ومعنى " باخع نفسك" أي: " قاتلها ومهلكها " أما قوله تعالى: [وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِٱللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ) (يوسف: 106).ففي ذلك معان كثيرة مستنبطة من أقوال المفسرين وهي:

1ــ قوله:[وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِٱللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ) أي " في إقراره بالله وبأنه خالقه وخالق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادة الوثن "[3].

2ــ أن المراد بهم المشركين من أهل مكة وقولهم في التلبية، كما جاء في الصحيح " أن المشركين كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك "[4].

([1])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 475.

([2])الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 277.

([3])الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 277.

([4])مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها، حديث رقم 1185، ص322.

3ــ ما ورد في الصحيح من قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ:" أعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك "[1].

4ــ " أنهم المراؤون بأعمالهم والرياء شركٌ خفي "[2].

ومما يقع فيه عوام المسلمين نسب قضاء الحوائج إلى غير الله ــ تعالى ــ في كلامهم " فيقولون: " لولا فلان لما كان ذلك حاصلاً " وينسون أن الفضل كله بيد الله ــ عز وجل ــ وقد بين الله تعالى هذه الحالة في أكثر من موضع من القرآن الكريم، حيث قال: **[فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ]**(العنكبوت: 65) وقال:**[وَإِذَا مَسَّ ٱلإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوۤ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ]** (الزمر: 8).

2ــ قال تعالى:**[الۤمۤر تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ وَٱلَّذِيۤ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ]** (الرعد: 1).

فقوله [الۤمۤر]: من فواتح السور التي" الله أعلم بمراده منها "[3]، وقد تكلم المفسرون فيها كثيراً فأغنوا عن تكرير ذلك.

وقوله: [تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ] " وهو الكتاب الذي أعطاه محمداً بأن ينزله عليه ويجعله باقياً على وجه الدهر "[4].

[وَٱلَّذِيۤ أُنزِلَ إِلَيْكَ] يعني: " وهذا القرآن الذي أنزل إليك [مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ] لا كما يقول المشركون: إنك تأتي به من تلقاء نفسك؛ فاعتصم به " [5].

ثم إن قوله ــ تعالى ــ:[وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ] من مشركي قومك لا يصدقون بالحق الذي أنزل إليك من ربك ولا يقرون بهذا القرآن وما فيه

([1])مسلم، صحيح مسلم، كتاب الطب والمرض والرقى، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، حديث رقم 2200، ص 627.

([2])الآلوسي، روح المعاني، ج 13، ص 67.

([3])الجلالين، تفسير الجلالين، ص 249.

([4])الرازي، التفسير الكبير، ج 18، ص 327.

([5])القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 9، ص 278.

من محكم آية "[1]. وفي ذلك دلالة على أن أكثر الناس معرضون ، فيجب الحذر من أن نكون منهم .

3ـ قال تعالى:[**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**) (إبراهيم: 36).

وهذه الآية جاءت في معرض دعاء إبراهيم ــ عليه السلام ــ ربه أن يجعل مكة بلداً آمناً وأن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام، قال ــ تعالى ــ: **[وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِناً وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلأَصْنَامَ)** (إبراهيم: 35).

وهنا نجد الإمام الرازي يناقش مسألة مهمة وهي أن " الأنبياء ــ عليهم السلام ــ لا يعبدون الوثن ألبتة، وإذا كان كذلك فما الفائدة في قوله أجنبي عن عبادة الأصنام؟ " ويجيب:" أنه ــ عليه السلام ــ وإن كان يعلم أنه ــ تعالى ــ يعصمه من عبادة الأصنام إلا أنه ذكر ذلك هضماً للنفس وإظهاراً للحاجة والفاقة إلى فضل الله في كل المطالب "[2].

فقوله: [رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ) والحديث هنا عن الأصنام فهي " لما كانت سبباً للإضلال أضاف الفعل إليهن مجازاً؛ فإن الأصنام لا تفعل "[3]، يقول الشيخ الشعراوي:" ونعلم أن الأصنام بذاتها لا تُضل أحداً؛ ذلك أنها لا تتكلم ولا تتحدث إلى أحد؛ ولكن القائمين عليها بدعْوى أن لتلك الأصنام ألوهية؛ هم الذين يضلون الناس "[4].

وقوله: [فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) وهذا يذكرنا بقول عيسى ــ عليه السلام ــ: **[إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** (المائدة: 118).

يقول ابن كثير: " وليس فيه أكثر من الرد إلى مشيئة الله ــ تعالى ــ " [5].

([1])الطبري، جامع البيان، مج 7، ص 327.

([2])الرازي، التفسير الكبير، ج 19، ص 132.

([3])القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 9، ص 368.

([4])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 12، ص 7571.

([5])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 521.

فالأنبياء ــ عليهم السلام ــ ينهضون بواجب الدعوة على أكمل وجه ويتركون أمر العباد إلى الله ــ تعالى ــ ومشيئته في إيقاع العقاب أو العفو وهذا من كمال أخلاقهم ــ عليهم السلام ــ وأنهم مبلغون عن ربهم لا غير.

4ــ قال تعالى:[يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَافِرُونَ] (النحل: 83)

يعدد الله ــ تعالى ــ بعض نعمه على عباده في في سياق هذه الآية، فيقول: [وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُمْ مِّن جُلُودِ ٱلأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ] (النحل: 80 ــ 81).وبعد ذلك الإنعام يتولون عن الحق ولا يؤمنون بالله ــ عز وجل ــ فيقول تعالى لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ: [فَإِن تَوَلَّوْاْ]؛ أي بعد هذا البيان والامتنان " [فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلاَغُ ٱلْمُبِينُ]: وقد أديته إليهم "[1].

ثم يقول ــ عز وجل ــ:[يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَافِرُونَ] (النحل: 83). وذلك بأنهم يعرفون أن المنعم والمتفضل عليهم هو الله ــ تعالى ــ إلا أنهم " ينكرون ذلك، ويعبدون معه غيره ويسندون النصر والرزق إلى غيره " [2].

يقول صاحب الكشاف: " فإن قلت: ما معنى ثم ؟ قلت: الدلالة على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة؛ لأن حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر "[3].

ثم يقول ــ عز وجل ــ [وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَافِرُونَ] أي " الجاحدون عناداً، وذكر الأكثر لأن بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل أو التفريط في النظر، أو لم تقم عليه

([1])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 561.

([2])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 561.

([3])الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 340.

الحجة لأنه لم يبلغ حد التكليف "[1].

5ـ قال تعالى:[وَعَاداً وَثَمُودَاْ وَأَصْحَابَ ٱلرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً] (الفرقان: 38).

وهذه الآية المكية تسرد أخبار الأمم السابقة وتمثل للمسلمين في بداية الدعوة بأمثلة ليعتبروا ويتقوا ما حل لهؤلاء الأقوام.

وتبين الآية أسماء الأقوام وتجعل آخرين في عداد المجهولين فتقول: [وَعَاداً وَثَمُودَاْ وَأَصْحَابَ ٱلرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً]، فبينت كثرة من لم يؤمن ممن لم يسمهم الله تعالى في القرآن الكريم، ثم يخبر ـ تعالى ـ أن " كل هذه الأمم التي أهلكناها، التي سميناها لكم والتي لم نسمها ضربنا لهم الأمثال، يقول: مثلنا لها الأمثال ونبهناها على حججنا عليها، وأعذرنا إليها بالعبر والمواعظ فلم نهلك أمة إلا بعد الإبلاغ إليهم في المعذرة "[2].

فيقول تعالى في ذلك:[وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ ٱلأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً] (الفرقان: 39).

والتتبير كما يقول الإمام الرازي: أي " التفتيت والتكسير، ومنه التبر وهو كسارة الذهب والفضة والزجاج "[3].

يقول الراغب الأصفهاني في ذلك:" التَّبرُ:التكسير والإهلاك"[4].

وهذا يدل على شدة العذاب الذي حلَّ بتلك الأقوام لما أعرضوا عن الحق.

6ـ قال تعالى:[إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ] (الشعراء: 8).

وقد تكررت هذه الآية في سورة الشعراء ست مرات[5]، وكل آية منها متعلقة بما سبقها من حدث يوجب النظر والتدبر لأن هناك آية الأصل أنها تحث متدبرها على الإيمان، لأن هؤلاء لم يؤمنوا ولم يعتبروا؛ ففي الآية الأولى: [إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً

([1])البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 3، ص 236.

([2])الطبري ، جامع البيان، مج 9، ص 391.

([3])الرازي، التفسير الكبير، ج 24، ص 83.

([4])الأصفهاني، المفردات، باب التاء، ص 94.

([5])وهي الآيات (8، 67، 103، 121، 174، 190).

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ) (الشعراء: 8) وقد سبقها الحديث عن نبات الأرض وأصناف النعم فيها، قال تعالى: **[أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ)** (الشعراء: 7)." والزوج: الصنف من النبات، والكريم: صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه "[1].

يقول الإمام الرازي: " وفي وصف الزوج بالكريم وجهان: أحدهما: أن النبات على نوعين؛ نافع وضار فذكر سبحانه كثرة ما أنبت من جميع أصناف النبات النافع وترك ذكر الضار، والثاني: أنه يعم جميع أصناف النبات نافعه وضاره ووصفهما جميعاً بالكرم، ونبه على أنه ما أنبت شيئاً إلا وفيه فائدة وإن غفل عنها الغافلون "[2].

ثم نأتي للآية التالية وهي **[إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ)** (الشعراء: 67) وقد سبقها الحديث عن قصة موسى ــ عليه السلام ــ وكيف أنه ــ تعالى ــ أنجاه من الغرق وأغرق فرعون وجنوده، قال تعالى:**[فَلَمَّا تَرَاءَى ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ* قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ* فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ* وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلآخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلآخَرِينَ)** (الشعراء: 63ــ 66).

وهذا مما يوجب على المتدبر أن يؤمن ويعتبر، لكن أكثر الناس لم يؤمنوا ولم يعتبروا، وفي ذلك تسلية للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأن قوم موسى لم يؤمنوا على الرغم من إبهار المعجزات التي جاء بها للعقول.

وقوله: **[إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ)** (الشعراء: 103).

فيها بيانٌ لحال عبدة الأصنام في النار " ومخاصمة عبدتها بينهم "[3]، وندمهم على ضلالهم، يقول تعالى:**[قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ* تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ* إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ* وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلاَّ ٱلْمُجْرِمُونَ* فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ* وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ*فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ)** (الشعراء: 96ــ 102).وفي

([1])الرازي، التفسير الكبير، ج 24، ص 120.

([2])الرازي، التفسير الكبير ، ج 24، ص 120.

([3])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 19، ص 150.

هذا تسفيه منهم لأنفسهم؛ إذ تمشى عليها الضلال الذي ما كان له أن يروج على ذي مسكة من عقل "[(1)].

وقوله تعالى:[إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) (الشعراء: 121).وقد سبقها ذكر قصة نوح مع قومه، قال تعالى:[قَالُواْ لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ يٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ * قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ) (الشعراء: 116ـ 120).

يقول ابن عاشور: " الآية في قصة نوح دلالتُها على أن الله لا يقر الذين يكذبون رسله، ففي هذه القصة أية للمشركين من قريش وهم يعلمون قصة نوح والطوفان"[(2)].

وقوله تعالى:[قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ * قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِّنَ ٱلْقَالِينَ * رَبِّ نَّجِنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ * فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عَجُوزاً فِي ٱلْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنْذَرِينَ) (الشعراء: 167ـ 174). فالسياق يتحدث عن قوم لوط وايقاع العذاب بهم لما كذبوا رسولهم، ولا يخفى ما فيها من العبرة.

والآية التالية: [إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) (الشعراء: 190) سبقها الحديث عن قوم شعيب لما كذبوه وقوله: [إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً) أي " في ذلك آية لكفار قريش؛ إذ كان حالهم كحال أصحاب ليكة؛ فقد كانوا من المطففين مع الإشراك "[(3)].

وقوله تعالى:[فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) (الشعراء: 139) وهذه الآية تتحدث عن سبب ونتيجة عذاب عاد قوم هود؛ فالسبب [فَكَذَّبُوهُ) والنتيجة [فَأَهْلَكْنَاهُمْ)، فيقول تعالى ذكره:" إن في إهلاكنا عاداً

([1])ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج 19، ص 150.

([2])ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج 19، ص 164.

([3])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 19، ص 187.

بتكذيبها رسولها، لعبرة وموعظة لقومك يا محمد المكذبيك فيما أتيتهم به من عند ربك "[1].

فالتكذيب هنا هو سبب العذاب ؛ لذا وجب التنبيه إلى اجتنابه.

وقوله تعالى:[فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) (الشعراء: 158).

والحديث هنا عن قوم صالح لما عقروا الناقة، قال تعالى:[فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَادِمِينَ] (الشعراء: 157).

[فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ]، وعذابهم كان " صيحة خمدت لها أبدانهم وانشقت قلوبهم، وماتوا عن آخرهم، وصب عليهم حجارة خلال ذلك "[2].

وقد رأينا تكرار هذا التعقيب بعد كل قصة من قصص الأنبياء في سورة الشعراء، وسر ذلك كما يبينه سيد قطب " أنها ذات الدعوة بألفاظها يدعوها كل رسول، ويوحد القرآن عن قصد حكاية العبارة التي يلقيها كل رسول على قومه، للدلالة على وحدة الرسالة جوهراً و منهجاً في أصلها الواحد الذي تقوم عليه، وهو الإيمان بالله وتقواه، وطاعة الرسول الآتي من عند الله "[3].

7ـ قال تعالى: [أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ] (الروم: 8).

" يقول تعالى منبهاً على التفكر في مخلوقاته الدالة على وجوده وانفراده بخلقها، وأنه لا إله غيره، ولا رب سواه، فقال: [أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ] يعني به: النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي وما بينهما من المخلوقات المتنوعة والأجناس المختلفة، فيعلموا أنها ما خلقت سُدى ولا باطلاً؛ بل

([1])الطبري، جامع البيان، مج 9، ص 464.

([2])الآلوسي، روح المعاني، ج 19، ص 114.

([3])سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 5، ص 2611.

بالحق، وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة "[1]، ولهذا قال تعالى: [وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ]

وقد ذكر هنا (كثيراً من الناس) من يكفر بلقاء الله " لأنه ذكر الدلائل الواضحة والبراهين اللائحة، ولا شك أن الإيمان بعد الدليل أكثر من الإيمان قبل الدليل "[2].

8ـ قال تعالى: [قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَٱنْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ] (الروم: 42).

" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: سيروا في البلاد، فانظروا إلى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم وكذبوا رسله، كيف كان آخر أمرهم وعاقبة تكذيبهم رسل الله وكفرهم، ألم نهلكهم بعذاب منا ونجعلهم عبرة لمن بعدهم ؟ " كان أكثرهم..." يقول: فعلنا ذلك بهم لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم "[3].

والمعنى: " سيروا في الأرض للاستثمار، وطلب القوت، وقضاء المصالح، لكن لا يفوتكم النظر والتأمل في آيات الله وفي مخلوقاته لتأخذوا منها العبرة والعظة "[4]

وهذه سمة تظهر كثيراً في آيات القسم المكي في القرآن الكريم إذ أنها تحث على النظر وأخذ العبر من أخبار الأمم السابقة.

9ـ قال تعالى:[لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤمِنُونَ] (يس: 7).

في قوله: [لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ] وجوه:" الأول: وهو المشهور، أن المراد من القول هو قوله: [لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ] (ص:85)، والثاني: هو أن معناه لقد سبق في علمه أن هذا يؤمن وأن هذا لا يؤمن...فحق القول: أي وجد وثبت بحيث لا يبدل بغيره، والثالث: لما لم يؤمنوا عندما حق القول واستمروا؛ فإن كانوا يريدون شيئاً أوضح من البرهان فهو العيان، وعند العيان لا يفيد

([1])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 412.

([2])الرازي، التفسير الكبير، ج 25، ص 99.

([3])الطبري، جامع البيان، مج 10، ص 192.

([4])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 18، ص 11481.

الإيمان... وفيه وجه رابع وهو أن يُقال: لقد حقت كلمة العذاب العاجل على أكثرهم فهم لا يؤمنون "[1] ، ودلالة ذلك أن من لم يؤمن حق عليه القول ؛ فآمنوا حتى لا يحق عليكم القول .

10ــ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (الصافات: 71).

يقول ــ عز وجل ــ لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ: أنه قد ضل من قبل " قومك قريش أكثر الأولين على الرغم من إرسال المنذرين إليهم ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنذِرِينَ﴾ (الصافات: 72).

ومعنى ذلك أنه " ليس هؤلاء بدعاً في الضلال، فقد ضل قبلهم كثيرون ممن سبقوهم، وهذا يعني أن قلة آمنت والكثرة ضلت "[2].

" ووصف الذين ضلوا قبلهم بأنهم ﴿ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ لئلا يغتر ضعفاء العقول بكثرة المشركين ولا يعتزوا بها، ليعلموا أن كثرة العدد لا تبرر ضلال الضالين ولا خطأ المخطئين، وأن الهدى والضلال ليسا من آثار العدد كثرة وقلة، ولكنهما حقيقتان ثابتتان مستقلتان؛ فإذا عرضت لإحداهما كثرة أو قلة فلا تكونان فتنة لقصار الأنظار وضعفاء التفكير "[3].

11ــ قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَــةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (غافر: 59). أي " لا شك في مجيئها وحصولها ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ بذلك ولا يصدقونه لقصور أفهامهم، وضعف عقولهم عن إدراك الحجة، والمراد بأكثر الناس: الكفار الذين ينكرون البعث "[4].

يقول الشيخ الشعراوي في ذلك:" إن المسألة ليست قائمة على العقل إنما على الإيمان، فلو تركت للعقل لقلنا ما قلناه؛ لكن أمر الساعة قائمٌ على الإيمان والعقيدة،

([1])الرازي، التفسير الكبير، ج 26، ص 43.

([2])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 20، ص 12782.

([3])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 22، ص 128.

([4])الشوكاني، فتح القدير، ج 24، ص 570.

والذي يريد ألا يرتبط بالإيمان وأن ينفلت من قيوده؛ يريد ألا يقيد حركته في الوجود بمنهج "افعل ولا تفعل "، يريد أن يكون حراً يسير في الحياة على هواه "[1].

وهذا الحال الذي تحكيه الآية الكريمة ينطبق على أكثر الناس.

ثالثاً: **كثرة أهل النار من الجن والإنس.**

وهذا الموضوع مما اختصت به هذه الآية المكية، قال تعالى: **[وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَـٰئِكَ كَٱلأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ)** (الأعراف: 179).

ـ ذرأ بالهمز بمعنى:" بث ونشر "[2].

يقول تعالى: أنه خلق لجهنم كثيراً من الجن والإنس وهم " المطبوع على قلوبهم، الذين علم الله أنهم لا لطف لهم،وجعلهم في أنهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق، ولا ينظرون بأعينهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار، ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الآذان، وجعلهم لإغراقهم في الكفر وشدة شكامتهم فيه، وأنه لا يأتي منهم إلا أفعال أهل النار مخلوقين للنار؛ دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار "[3].

رابعاً: **كثرة الذين لا يشكرون.**

وهذا الموضوع مما اشتركت الآيات المكية والمدنية في إيراده، مما يدلل على كونه حالة عامة لا يخلو منها كل مجتمع مهما كانت صفاته.

والآيات المكية الواردة فيه جاءت على النحو التالي:

1ـ قال تعالى:**[ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)** (الأعراف: 17). تتحدث هذه الآية الكريمة عن توعد إبليس لذرية آدم بالإغواء، فيقول ـ تعالى ـ عنه: **[قَالَ فَبِمَآ**

([1])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 21، ص 13416.

([2])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 7، ص 4473.

([3])الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 104.

أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ) (الأعراف: 16) أي " بسبب إغوائك إياي لأقعدن لهم؛ وهو تكليفه إياه ما وقع به في الغي، ولم يثبت كما ثبتت الملائكة "[1].

أي أن امتناعه عن السجود لآدم أدى به إلى لعنة الله فطرده من الجنة؛ فلذلك يكن لذرية آدم هذه العداوة ويتوعدهم بالإغواء من كل جانب، وقوله:[**ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**) "تأويل ذلك: أن قوله: [بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) من قبل دنياهم [وَمِنْ خَلْفِهِمْ) من قبل آخرتهم، [وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ) الحق أشككهم فيه، [وَعَن شَمَآئِلِهِمْ) الباطل أرغبهم فيه"[2] .

[وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) يقول سيد قطب: " ويجيء ذكر الشكر تنسيقاً مع ما سبق في مطلع السورة [**وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي ٱلأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ**) (الأعراف: 10) لبيان السبب في قلة الشكر، وكشف الدافع الحقيقي الخفي من حيلولة إبليس دونه، وقعوده على الطريق إليه؛ ليستيقظ البشر للعدو الكامن الذي يدفعهم عن الهدى وليأخذوا حذرهم حتى يعرفون من أين هذه الآفة التي لا تجعل أكثرهم شاكرين "[3]

2ـ [**وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ**) (يونس: 60). بدأت الآية الكريمة بالإستفهام " والإستفهام مستعمل في التعجيب من حالهم؛ والمقصود به: التعريض بالمشركين ليستفيقوا من غفلتهم ويحاسبوا أنفسهم "[4] .

([1])الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 55.

([2])الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي البصري (450هـ)، النكت والعيون، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1992م، مج 2، ص 207.

([3])سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 3، ص 1267.

([4])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 10، ص 210.

وسياق هذه الآية جاء في معرض الحديث عن تحريمهم لما أحل الله لهم من طيبات الرزق، قال تعالى:[قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ) (يونس: 59).

وقوله [إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ) أي " إن الله متفضل على كل خلقه بأشياء كثيرة؛ فلم تحرمون أنفسكم من هذا الفضل ؟ ولو شكرتم الله تعالى على هذا التفضل لزاد من عطائكم، لكنكم تنسون الشكر "[1] .

3ـ قال تعالى: [وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِـيۤ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ذٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ) (يوسف: 38).

وهذا مما أخبر به يوسف ــ عليه السلام ــ الفتيان اللذان سألاه تأويل رؤياهما، فأخذ في التعريض لهما بالدعوة إلى التوحيد ــ وقد تحدثت عن ذلك فيما مضى ــ وهو هنا يبين لهم حاله فيقول: " هجرت طريق الكفر والشرك وسلكت طريق هؤلاء المرسلين ــ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ــ وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى واتبع طريق المرسلين، ... فإن الله يهدي قلبه، ويعلمه ما لم يعلم، ويجعله إماماً يقتدى به في الخير و داعياً إلى سبيل الرشاد "[2].

ثم يقول:[وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ) أي: " لا يعرفون نعمة الله عليهم بإرسال الرسل إليهم "[3]، وهي من أجل النعم التي توجب شكر المنعم عليها.

4ـ قال تعالى: [وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ) (النمل: 73).

وهذه الآية الكريمة جاءت في سياق الحديث عن إنكار مشركي قريش للعذاب الذي يعدهم به محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ، قال تعالى: [وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) (النمل: 71ــ 72) ومن هنا كان الحديث عن فضل الله على الناس؛ وذلك " بتركه

([1])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 10، ص 6010.

([2])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 460.

([3])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ج2، ص 460.

معاجلتهم بالعقوبة على معصيتهم إياه وكفرهم به، وذو إحسان إليهم في ذلك وفي غيره من نعمه عندهم "[1]

يقول صاحب روح المعاني في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ أي: " لا يعرفون حق فضله ـ تعالى ـ عليهم؛ تعبيراً عن انتفاء معرفتهم ذلك بانتفاء ما يترتب عليها من الشكر "[2].

5ـ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ (غافر: 61).

يقول ابن كثير في ذلك: " يقول تعالى ممتناً على خلقه بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه، ويستريحون من حركات ترددهم في المعايش بالنهار، وجعل النهار مبصراً؛ أي: مضيئاً، ليتصرفوا فيه بالأسفار، وقطع الأقطار والتمكن من الصناعات " [3].

وهذا مما يوجب الشكر على كل ذو لب، إلا أن الغافل عن فضل الله وإنعامه لا يشكر، وإن شكر لا يكون شكره مجازياً للنعمة التي هو فيها.

لذلك قال تعالى: ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ يقول الإمام الرازي في بيان ذلك:" واعلم أن ترك الشكر لوجوه: أحدها: أن يعتقد الرجل أن هذه النعم ليست من الله تعالى، مثل أن يعتقد أن هذه الأفلاك واجبة الوجود لذواتها... وثانيها: أن الرجل وإن اعتقد أن كل العالم حصل بتخليق الله وتكوينه إلا أن هذه النعم العظيمة... لما دامت واستمرت نسيها الإنسان... وثالثها: أن الرجل وإن كان عارفاً بمواقع هذه النعم إلا أنه يكون حريصاً على الدنيا، محباً للمال والجاه؛ فإذا فاته المال الكثير والجاه العريض وقع في كفران هذه النعم العظيمة " [4]

([1])الطبري، جامع البيان، مج 10، ص 11.

([2])الآلوسي، روح المعاني، ج 20، ص 17.

([3])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 88.

([4])الرازي، التفسير الكبير، ج 27، ص 82.

خامساً: كثرة المهلكين بتزيين الشياطين .

1- قال تعالى: **[وكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)** (الأنعام: 137).

" قوله: **[** وكَذَٰلِكَ **)** عطفٌ على قوله: **[وَجَعَلُواْ للَّه ممَّا ذَرَأَ منَ ٱلْحَرْث وَٱلأَنْعَٰمِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَـٰذَا للَّه بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَىٰ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ للَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ)** (الأنعام: 136)

أي: كما فعلوا ذلك فكذلك زين لكثير منهم شركاؤهم قتل الأولاد، والمعنى: أن جعلهم لله نصيباً نهاية في الجهالة والضلالة، وذلك يفيد التنبيه على أن أحكام هؤلاء وأحوالهم يشاكل بعضها بعضاً في الركاكة والخساسة "[1]

والمراد بقتل الأولاد " الوأد، نحرهم للآلهة "[2]

وقوله:**[** شُرَكَآئِهِمْ **)** المراد بالشركاء؛ إما الجن أو السدنة، فهم زينوا لهم قتل أولادهم وحثوهم على ذلك كما أغووهم في جعل لله نصيباً ولهم نصيباً مما خلق من الحرث والأنعام، وقوله تعالى: **[** لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ**)** أي: ليهلكوهم بالإغواء وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل ــ عليه السلام ــ حتى زلوا عنه إلى الشرك أو دينهم الذي وجب أن يكونوا عليه "[3]، ودلالة الآية هي عدم الاغترار بالزينة ووساوس الشيطان .

سادساً:كثرة طلب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الخير لو علم الغيب .

1ــ قال تعالى:**[قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوۤءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)** (الأعراف: 188) هذه الآية الكريمة تبين حقيقة الرسالة النبوية وأنها مقتصرة على الإنذار والتبشير، و " هذا ارتقاءٌ في التبرؤ من معرفة الغيب ومن

([1])الرازي، التفسير الكبير، ج 13، ص 205.

([2])الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 41.

([3])الآلوسي، روح المعاني، ج 8، ص 34.

التصرف في العالم، وزيادةٌ من التعليم للأمة بشيء من حقيقة الرسالة والنبوة، وتمييز ما هو من خصائصها عما ليس منها "[1]

وهذا خلاف ما يظنه المشركون من أن معرفة الغيب من لوازم النبوة؛ لذلك سألوا النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن الساعة وعن أمور الغيب التي لا يطلع عليها إلا الله، وهذا يدل على غاية جهلهم وسذاجتهم.

يقول ابن عاشور:" وجعل نفي أن يملك لنفسه نفعاً أو ضراً مقدمة لنفي العلم بالغيب؛ لأن غاية الناس من التطلع إلى معرفة الغيب هو الإسراع إلى الخيرات المستقبلة بتهيئة أسبابها وتقريبها، وإلى التجنب لمواقع الإضرار، فنفي أن يملك لنفسه نفعاً أو ضراً يعم سائر أنواع الملك وسائر أنواع النفع والضرر، ومن جملة ذلك العموم ما يكون منه في المستقبل وهو من الغيب "[2]، والآية دالةٌ على عدم صحة نسبة علم الغيب للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ.

سابعاً: كثرة ثبور أهل النار.

1- قال الله تعالى: **[لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَٱدْعُوا۟ ثُبُوراً كَثِيراً]** (الفرقان: 14).

وهذه الآية تصور حال أهل النار وتمنيهم الهلاك فيها، ليحصل لهم الخلاص مما يواجهونه من أصناف العذاب، قال تعالى: **[لَقَدْ جِئْنَاكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ]** (الزخرف: 77) والثبور: "الهلاك "[3]، ومعنى الآية: "لا تدعو اليوم ويلاً واحداً وادعوا ويلاً كثيراً "[4].

وقوله:[وَٱدْعُوا۟ ثُبُوراً كَثِيراً] " وصف الثبور بالكثير إما لكثرة ندائه بالتكرير... أو هو يأس يقتضي تكرير التمني والتحسر "[5]؛ فالآية تدل على شدة العذاب وهوله؛ لذا يجب على الإنسان أن يتقيه بالإيمان والعمل الصالح .

([1])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 9، ص 206.

([2])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 9، ص 207.

([3])الأصفهاني، المفردات، باب الثاء، ص 101.

([4])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 301.

([5])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 19، ص 334.

ثامناً: العفو عن كثير.

1ــ قال تعالى: [**وَمَآ أَصَــٰبَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ**) (الشورى: 30).

تعلمنا هذه الآية الكريمة الرضا والتسليم بما وقع لنا من المصائب والأزمات، واليقين بأن عفو الله تعالى عن كثير مما كسبت أيدينا واقعٌ فعلاً وأن كل ما يصيب الإنسان مما كسب من ذنوب وآثام، فيطهره الله تعالى منها.

يقول الشيخ الشعراوي: " فالحق سبحانه يريد أن يعلمنا كيفية استقبال المصائب وأن كل مصيبة تأتي لها سبب، فإن عرفناه كان بها، وإن جهلناه قلنا: لا بد أن لله فيه حكمة "[(1)] ، فالآية تدل على سعة رحمة الله عز وجل وعفوه .

تاسعاً: كثرة الذين لا يعقلون.

1ــ قال تعالى: [**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَٱلأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**) (الفرقان: 44).

وهذه الصورة التي رسمها القرآن الكريم للكافرين تكررت كثيراً في القرآن؛ فهم كالأنعام التي لا تعقل ولا تفهم أو أكثر ضلالاً منها " لأن البهائم تهتدي لمراعيها، وتنقاد لأربابها "[(2)].

وهذا نتيجة إعراضهم عن الحجج والدلائل وعدم استيعابها.

والآية السابقة لهذه الآية تقول:[**أَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَــٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً**) (الفرقان: 43).يعني تعالى ذكره " أرأيت يا محمد من اتخذ إلهه شهوته التي يهواها؛ وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر، فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ الآخر يعبده "[(3)]

وسر تقديم السمع على البصر هنا، يبينه الإمام الآلوسي بقوله: " لما كان الدليل السمعي أهم؛ نظراً للمقام من الدليل العقلي قيل " يسمعون أو يعقلون "[(4)]

([1])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 22، ص 13782.

([2])الطبري، جامع البيان، مج 9، ص 393.

([3])الطبري، جامع البيان، مج 9، ص 393.

([4])الآلوسي، روح المعاني، ج 19، ص 24.

والمعنى الإجمالي للآية: أن أكثرهم لا يسمعون ما يتلى عليهم بأُذن الواعي الفطن، ولا يعقلون ما فيه من الأوامر والنواهي، والحقيقة أنهم أضل حالاً من الدواب، وفي ذلك دليلٌ على وجوب اتباع دليل السمع والعقل .

2ـ قال تعالى: [**وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**) (العنكبوت: 63).

وهذه الآية " ترسم صورة لعقيدة العرب إذ ذاك، وتوحي بأنه كان لها أصل من التوحيد؛ ثم وقع فيها الإنحراف، ولا عجب في هذا فهم من أبناء إسماعيل بن إبراهيم ــ عليهما السلام ــ. "[1]

فهم إذا سُألوا عن منزل الغيث وباسط الرزق ومقدره، أجابوا بأنه الله ــ تعالى ــ، قال تعالى: [**وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**) (العنكبوت: 61).

لكنهم لا يعبدونه ــ سبحانه ــ ولا يطيعونه.

[بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ) أي أن:" أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعقلون ما لهم فيه النفع من أمر دينهم، وما فيه الضر؛ فهم لجهلهم يحسبون أنهم لعبادتهم الآلهة من دون الله، ينالون بها زُلفة وقربة، ولا يعلمون أنهم بذلك هالكون مستوجبون الخلود في النار "[2]. فالواجب عليهم أن يوحدوا بعد أن عرفوا الأدلة .

عاشراً: المن على الأقوام بتكثيرهم.

1ـ قال تعالى: [**وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَٱذْكُرُوۤاْ إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَٱنْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ**) (الأعراف: 86).

وقد تم الحديث عن هذه الآية الكريمة في مبحث القلة في القسم المكي تحت عنوان (التذكير بقلة الأقوام)؛ لأن الآية ورد فيها لفظي " القلة والكثرة "، قال تعالى:

([1])سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 6، ص 428.

([2])الطبري، جامع البيان، مج 10، ص 159.

[وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ) وهي كما ذكرنا تتحدث في شأن قوم شعيب ــ عليه السلام ــ وقد بينا أن التكثير هنا يكون " بالبركة في النسل أو المال "[1]

2ــ قال تعالى:[ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً) (الإسراء: 6).

والحديث هنا عن بني إسرائيل، فيخبر الله ــ تعالى ــ نبيه محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ " أنهم لما طغوا وبغوا، سلط الله عليهم عدوهم، فاستباح بيضتهم، وسلك خلال بيوتهم، وأذلهم وقهرهم جزاء وفاقا، وما ربك بظلام للعبيد؛ فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقاً من الأنبياء والعلماء "[2].

وقوله: [ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِم) أي:" الدولة والغلبة والرجعة وذلك عند توبتهم"[3] وقوله:[وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً) النفير: " من ينفر مع الرجل من قومه"[4]، وفي الآية دليل على وجوب الشكر على هذه المنة .

الحادي عشر: كثرة متبعي الظن.

1ــ قال تعالى:[وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ) (الأنعام: 116).

" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا تطع هؤلاء العادلين بالله الأنداد يا محمد فيما دعوك إليه من أكل ما ذبحوا لآلهتهم، وأهلوا به لغير ربهم وأشكالهم من أهل الزيغ والضلال "[5].

وإنما وصفوا بأنهم [أَكْثَرَ مَن فِي ٱلأَرْضِ) " لأن الحق والهدى يحتاج إلى عقول سليمة، ونفوس فاضلة، وتأمل في الصالح والضار، وتقديم للحق على الهوى والرشد على الشهوة، ومحبة الخير للناس، وهذه صفات إذا اختل واحد منها تطرق

([1])البيضاوي، أنوار التنزيل، ج 8، ص 213.

([2])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 25.

([3])الشوكاني، فتح القدير، ج 15، ص 249.

([4])الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 352.

([5])الطبري، جامع البيان، مج 5، ص 319.

الضلال إلى النفس بمقدار ما انثلم من هذه الصفات، واجتماعها في النفوس لا يكون إلا عن اعتدال تام في العقل والنفس "[1].

فهم يبنون اعتقادهم و سائر أمورهم على الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً، و بالإضافة إلى ذلك (يخرصون) أي: " يكذبون "[2]. ويبين الراغب الأصفهاني المعنى الدقيق لهذه اللفظة فيقول:" والحقيقة أن كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال: خَرْصٌ؛ سواء كان مخالفاً للشيء أو مطابقاً له؛ من حيث أن صاحبه لم يقله عن علم ولا غلبة ظن ولا سماع، بل اعتمد فيه على الظن والتخمين "[3].

2ـ قال تعالى: **[قُلْ هَلْ من شُرَكَآئِكُمْ مَّن يَهْدِيَ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيَ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إِنَّ ٱلظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ ٱللَّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ)** (يونس:35ـ 36) وهذا دليلٌ على أنه تعالى هو الهادي إلى سبيل الرشاد لا غيره مما يدعون من الآلهة، وأنه سبحانه هو الأجدر بالاتباع من شركائهم الذين لا يهدونهم سبيلاً؛ فجاءت هذه الآية لتبين سوء إدراكهم وعدم فهمهم لمضمون ما أفحمهم من البراهين النيرة الموجبة للتوحيد، أي ما يتبع أكثرهم في معتقداتهم ومحاوراتهم إلا ظناً واهياً مستند إلى خيالات فاسدة وأقيسة باطلة "، وتخصيص **[أَكْثَرُهُمْ)** بالإتباع إشارة إلى أن منهم من قد يتبع فيقف على حقيقة التوحيد لكن لا يقبلة مكابرة وعناداً "[4]، والآية تدل على وجوب اتباع اليقين .

الثاني عشر: كثرة منافع الأنعام.

قال تعالى:**[وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)** (المؤمنون: 21).

([1])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 8، ص 25.

([2])الأصفهاني، المفردات، باب الخاء، ص 193.

([3])الأصفهاني، المفردات ، باب الخاء، ص 193.

([4])الآلوسي، روح المعاني، ج 11، ص 115.

تحدث القرآن الكريم في غير موضع عن منافع الأنعام وفي كل مرة يضيء لنا جانباً من هذه المنافع ويربطها بضرورة الاستدلال بها على وجوب شكره، والتفكر في عظيم صنعه ــ سبحانه ــ فيقول في سورة النحل:[**وَٱلأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ ٱلأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**) (النحل: 7ــ9) وفي آية أخرى منها [**وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُمْ مِّن جُلُودِ ٱلأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ**) (النحل: 80).

فهذه الآيات الكريمة تبين إنعام الله ــ تعالى ــ على عباده في الأنعام التي سخرها لهم " وهنا نجد أن الحق سبحانه قد أعطانا الترف أيضاً بجانب الضروريات، فالدِّفْء والمنافع والأكل ضروريات للحياة، أما الجَمال فهو من تَرَف الحياة، والجمال هو ما تراه العين، فيتحقق السرور في النفس. والدِّفْء والمنافع والأكل هي أمور خاصة لِمَنْ يملك الأنعام؛ أما الجمال فمشاع عَامٌّ للناس"[(1)].

وقوله: [نُّسْقِيكُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهَا) " تفصيل لما فيها من مواقع العبرة، وما في بطونها؛ عبارة إما عن الألبان؛ فمن تبعيضية، والمراد بالبطون: الأجواف؛ فإن اللبن في الضروع، أو عن العلف الذي يتكون منه اللبن والبطون على حقيقتها، وقوله: [وَلَكُمْ فيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ) ومنها ما بينه الله في سورة النحل، وقد يكون منها ما لم نعلمه، [وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) أي "لحماً " وذكر اللحم في آخر هذه المنافع لأنه آخر ما يمكن الإنتفاع به من الحيوان "[(2)].

الثالث عشر: الحث على ذكر الله كثيراً.

1ــ قال تعالى: [**إِلاَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً وَٱنتَصَرُواْ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ وَسَيَعْلَمْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوۤاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**) (الشعراء: 227).

لما اتهم المشركون رسول الله بالكهانة حيناً وبقول الشعر حيناً آخر بين ــ تعالى ــ الفرق بينه وبينهم " وذلك أن الشعراء يتبعهم الغاوون؛ أي الضالون، ثم

---

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 13، ص 7816.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي ، مج 16، ص 9995.

يبين تلك الغواية بأمرين، الأول: [أنهم في كل واد) والمراد منه الطرق المختلفة... وذلك لأنهم قد يمدحون الشيء بعد أن ذموه وبالعكس،... وذلك يدل على أنهم لا يطلبون بشعرهم الحق ولا الصدق، بخلاف أمر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنه من أول أمره إلى آخره بقي على طريق واحد وهو الدعوة إلى الله تعالى، والترغيب في الآخرة والإعراض عن الدنيا، والثاني: أتهم يقولون ما لا يفعلون، وذلك أيضاً من علامات الغواة "[1].

لكن الله ـ تعالى ـ بعدله وانصافه يستثني من هؤلاء الشعراء طائفة بين صفاتهم، وهم:

1ـ الذين آمنوا.

2ـ عملوا الصالحات.

3ـ ذكروا الله كثيراً، وبما أنه ـ تعالى ـ ذكرهم على سبيل المدح يجب الإكثار منه .

4ـ انتصروا من بعد ما ظلموا؛ أي " كان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم "[2]، وذلك مثل هجاء حسان بن ثابت للمشركين.

ويدل على ذلك قوله: **[لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً)** (النساء: 148).

ووجه الإستشهاد بهذه الآية أن من " وقع عليه ظلم له أن يجهر بالسوء. والجهر له فائدتان: الأولى: أن ينفث الإنسان عن نفسه فلا يكبت، وثانياً: أنه أشاع وأعلن أن: هذا إنسان ظالم، وبذلك يحتاط الناس في تعاملهم معه. وحتى لا يخدع إنسان نفسه ويظن بمنجاة عن سيئاته"[3].

وقوله تعالى: **[ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ)** (البقرة: 194). وهذا لئلا يتمرد أهل الظلم وتقوى شوكتهم.

([1])الرازي، التفسير الكبير، ج 24، ص 175.

([2])الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص 131.

([3])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج5، ص 2759.

الرابع عشر: كثرة ما أنعم الله به على العباد.

1ــ قال تعالى: [وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَٰدِرُونَ * فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) (المؤمنون 19ــ 20).

والحديث هنا عن نعمة كبيرة من نعم الله تعالى، تستوجب الثناء والحمد، وهي إنزال المطر وإنبات الشجر وإخراج الثمر الذي فيه منافع للناس، وذكر هنا العنب والنخل والزيتون وقد " خص هذه الأنواع الثلاثة؛ لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع، ووصف النخل والعنب بأن ثمرهما جامعٌ بين أمرين: بأنه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطباً ويابساً؛ رُطباً وعنباً، وتمراً وزبيباً "، والزيتون بأن دهنه صالح للإستصباح والإصطباغ جميعاً "[1].

2ــ قال تعالى: [مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ) (ص: 51).

وهذا من نعم الله على العباد في الجنة، فالآية تبين تنعم أهل الجنة فيها، وكيف أنهم في وضعية الإتكاء " فالمتكأ دل على أن المجلس لا يُمل، وأن الإتكاء هو الوضع الذي يأخذ فيه الإنسان راحته "[2].

[بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ) يقول الآلوسي:" ولما كانت الفاكهة تتنوع، وصفها ــ سبحانه ــ بالكثرة، وكثرتها باختلاف أنواعها وكثرة كل نوع منها"[3]، ووصفت الجنة كذلك في سورة الزخرف بكثرة ما فيها من الفاكهة، قال تعالى: [لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ) (الزخرف: 73).

وسر حذف حرف العطف " الواو" في قوله [مِّنْهَا تَأْكُلُونَ) "أن الهدف الرئيس والغرض الأساسي منها هو الأكل وحده "، أما في سورة المؤمنون فقد قال تعالى: [فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) (المؤمنون: 19) فقد كان الحديث عن أهل الدنيا، و" إن جنات أهل الدنيا

([1])الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص 45.

([2])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 21، ص 12976.

([3])الآلوسي، روح المعاني، ج 23، ص 213.

ليست كلها معدة للأكل؛ فهناك أغراض كثيره لعل في مقدمتها التجارة، ومنها التصدق والإهداء "[1].

" ووجه تكرير الامتنان بنعيم المأكل والمشرب في الجنة؛ أن ذلك من النعيم الذي لا تختلف الطباع البشرية في استلذاذه "[2].

ويقول ــ تعالى ــ في سورة الواقعة **[وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لاَّ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ)** (الواقعة: 32ــ33).فوصفها ــ عز وجل ــ بأنها لا مقطوعة ولا ممنوعة " لأن فاكهة الدنيا لا تخلو من أحد ضدي هذين الوصفين؛ فإن أصحابها يمنعونها؛ فإن لم يمنعوها فإن لها إباناً تنقطع فيه "[3].

ويلفت الإمام الرازي إلى لطيفة تفسيرية يجدر ذكرها، حيث يقول: " ما الحكمة في وصف الفاكهة بالكثرة، لا بالطيب واللذة ؟ ويجيب: أن فاكهة أي" ذات فكهة "، وهي لا تكون بالطبيعة إلا بالطيب واللذة، وأما الكثرة... لأنها ليست لدفع الحاجة حتى تكون بقدر الحاجة، بل هي للتنعم، فوصفها بالكثرة والتنوع "[4].

واختم الحديث عن هذا الموضوع بتعليل الإمام الآلوسي لتكرير ذكر المطاعم في القرآن الكريم، فيقول: " ولعل تكرير ذكر المطاعم في القرآن العظيم مع أنها كلا شيء بالنسبة إلى سائر أنواع نعيم الجنة لما كان بأكثرهم في الدنيا من الشدة والفاقه؛ فهو تسلية لهم " [5].

الخامس عشر: كثرة من يطغى من الخلطاء.

1ــ قال تعالى:**[قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِيۤ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلاَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ)** (ص: 24).

([1])عباس، فضل حسن عباس، (د. ت). إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ص 204.

([2])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 25، ص 257.

([3])ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج 27، ص 300.

([4])الرازي، التفسير الكبير، ج 29، ص 165.

([5])الآلوسي، روح المعاني، ج 23، ص 213.

وقد تم الحديث عنها في مبحث القلة في القسم المكي تحت عنوان (قلة من لا يبغي من الخلطاء) ولورود لفظي القلة والكثرة فيها، كان علينا الإشارة إليها هنا.

وأضيف هنا ما أورده الشيخ الشعراوي حول موضوع الآية، حيث يقول: " أن القضية ليست قضية فذة ولا مفردة، إنما هي ظاهرة كثيرة الحدوث بين الشركاء؛ فكثيراً ما يبغي شريكٌ على شريكه ويظلمه، مع أنهم ما تشاركوا إلا لمحبة بينهما واتفاق وتفاهم، لكن هذا كله لا يمنع ميل الإنسان إلى أن يظلم " [1].

السادس عشر: كثرة كارهو الحق.

1ـ قال تعالى:[**أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَآءَهُمْ بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**] (المؤمنون: 70).

" يحكي ـ عز وجل ـ قول المشركين عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه تقول القرآن؛ أي: افتراه من عنده، أو أن به جنوناً لا يدري ما يقول، وأخبر عنهم أن قلوبهم لا تؤمن به، وهم يعلمون بطلان ما يقولونه في القرآن "[2].

وقوله تعالى: [وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ] فيه " أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق... فكان فيهم من يترك القرآن أنفة واستنكافاً من توبيخ قومه، وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه، لا كراهة للحق "[3].

2ـ قال تعالى:[**لَقَدْ جِئْنَاكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**] (الزخرف: 78).

جاءت الآية الكريمة في سياق الحديث عن حال أهل النار وتمنيهم الفناء والهلاك [**وَنَادَوْاْ يٰمَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّاكِثُونَ**](الزخرف: 77)؛ أي: " ليمتنا ربك فيفرغ من إماتتنا " [4] لأن في ذلك راحة لهم من العذاب، فيقال لهم: [

([1])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 21، ص 12910.

([2])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 242.

([3])الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص 51.

([4])الطبري، جامع البيان، مج 11، ص 212.

لَقَدْ جِئْنَاكُم بِٱلْحَقِّ) ويحتمل أن يكون هذا من كلام الله ــ عز وجل ــ، ويحتمل أن يكون من كلام مالك، والأول أظهر "[1]

ومعنى [أَكْثَرَكُمْ)؛ كلكم، وقيل المراد به: الرؤساء والقادة ومن عداهم اتباع لهم "[2].

السابع عشر: اتهام قوم نوح له بكثرة الجدال.

1ــ قال تعالى:[**قَالُواْ يٰنُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ**) (هود: 32).

وهذه الآية تبين زيغ وضلال من يكفر من الأمم السابقة، لتسلي النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عما يواجهه في دعوته للناس، فهؤلاء قوم نوح يستعجلون العذاب والسخط على الرغم من بذل نوح ــ عليه السلام ــ وسعه في دعوتهم إلى الحق، فوصل بهم التمادي إلى أن يقولوا:[فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ) ومعنى [جَادَلْتَنَا) أي: حاججتنا؛ فأكثرت من ذلك، ونحن لا نتبعك "[3]، وهذا اعتراف منهم بما كان من نوح ــ عليه السلام ــ وهو كثرة الإلحاح عليهم بالدعوة، فهم سجلوا على أنفسهم ذلك واعترفوا به، فالآية فيها دليل على الإصرار على الدعوة مهما واجه الداعي من المعيقات .

الثامن عشر: التكاثر بالأموال والأولاد.

1ــ قال تعالى:[**وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَــرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ**) (سبأ: 35).

وتأتي هذه الآية الكريمة مسلية للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عما يعانيه مع قومه، وأن كل أمة من قبل هذه الأمة واجه مترفوها الأنبياء بكفرهم وطغيانهم، يقول تعالى:[**وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**) (سبأ: 34).

فهم نفوا أن يقع عليهم العذاب مستدلين على ذلك بكثرة الأموال والأولاد، ووجه ذلك كما يظنون " أن الله لو لم يكن راضياً ما نحن عليه من الملة والعمل، لم

([1])الشوكاني، فتح القدير، ج 5، ص 647.

([2])الشوكاني، فتح القدير، ج 5، ص 647.

([3])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 425.

يخولنا الأموال والأولاد، ولم يبسط لنا في الرزق، وإنما أعطانا ما أعطانا من ذلك لرضاه أعمالنا، وآثرنا بما آثرنا على غيرنا لفضلنا، وزلفة لنا عنده "[1].

وتأتي الآية التي بعدها لتبين أن قضية بسط الرزق وتقتيره لا تتعلق برضا أو سخط؛ وقد تحدثنا عن هذا سابقاً.

2ـ قال تعالى:[**أَلْهَاكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ**) (التكاثر: 1).

ومعنى الآية الكريمة " ألهاكم أيها الناس المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم، وعما ينجيكم من سخطه عليكم "[2].

فهو تعالى" لم يقل: ألهـــاكم التكاثر عن كذا وإنما لم يذكره، لأن المطلق أبلغ في الذم؛ لأنه يذهب الوهم فيه كل مذهب، فيدخل فيه جميع ما يحتمله الموضع، أي: ألهاكم التكاثر عن ذكر الله وعن الواجبات والمندوبات في المعرفة والطاعة والتفكر والتدبر، أو نقول: إن نظرنا إلى ما قبل هذه الآية فالمعنى: ألهاكم التكاثر عن التدبر في أمر القارعة والاستعداد لها قبل الموت، وإن نظرنا إلى الأسفل فالمعنى ألهاكم التكاثر، فنسيتم القبر حتى زرتموه "[3].

والمعنى: ألهتكم الحياة الدنيا بكل ما فيها من مظاهر التكاثر والتفاخر حتى أصبحتم من أهل المقابر.والفائدة من ذكر هذا المعنى هو ذم ذلك الأمر وتركه .

التاسع عشر: كثرة ما يخفيه اليهود من كتبهم.

1ـ قال تعالى: [**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَّا لَمْ تَعْلَمُوۤاْ أَنتُمْ وَلاَ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**) (الأنعام: 91).

والحديث هنا عن " اليهود، ومرادهم من ذلك الطعن في رسالته ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ على سبيل المبالغة فقيل لهم على سبيل الإلزام " قل من أنزل التوراة

(1)الطبري، جامع البيان، مج 10، ص 380.

(2)الطبري، جامع البيان، مج 12، ص 678.

(3)الرازي، التفسير الكبير، ج 32، ص 75.

على موسى ــ عليه السلام ــ ولا سبيل لكم إلى إنكار ذلك، فلم لا تجوزون إنزال القرآن على محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ " [(1)].

ثم ينتقل الخطاب هنا إلى وصف تعاملهم مع كتبهم على العادة التي عرفوا بها من الخيانة والغدر فهم " يجعلونه قراطيس: أي؛ يضعونه في قراطيس مقطعة وأوراق مفرقة "[(2)].

وذلك ليسهل تحريفه وتبديله، فهم يبدون منها ما يحلو لهم، ويخفون كثيراً مما فيها، والمراد من الكثير " نعوت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وسائر ما كتموه من أحكام التوراة كرجم الزاني المحصن " [(3)]، والآية دالةٌ على ذم كتم العلم .

العشرون: كثرة من اتبع الجن من الإنس.

1ــ قال تعالى:[وَيَوْمَ يِحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ ٱلإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلإِنْسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيۤ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) (الأنعام: 128).

الاستكثار: " شدة الإكثار، فالسين والتاء فيه للمبالغة مثل الاستسلام والاستخداع والاستكبار، ويتعدى بمن البيانية إلى الشيء المتخذ كثيره، يقال: استكثر من النعم أو من المال، أي: أكثر من جمعهما "[(4)].

ومعنى: [ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلإِنْسِ) أي: " أكثرتم من اتخاذهم، أي من جعلهم أتباعاً لكم، أي تجاوزتم الحد في استهوائهم واستغوائهم؛ فطوعتم منهم كثيراً جداً ".

فالخارجين عن طاعة الله من إنس وجن بينهم مصالح مشتركة، واستمتع بعضهم ببعض " وهنا يقول الحق عن الإنس [وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلإِنْسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيۤ أَجَّلْتَ لَنَا) أي؛ أن هذا الإستمتاع أمداً، هو أمد الأجل أي

([1])الآلوسي، روح المعاني، ج 7، ص 219.

([2])الآلوسي، روح المعاني ، ج7، ص 221.

([3])الآلوسي، روح المعاني ، ج 7، ص 220.

([4])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 8، ص 67.

ساعة تنقضي وتنتهي الحياة ثم يبدأ الحساب فيسمعون قول الحق [قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) [1].

الحادي والعشرون: كثرة الذكر بحاجة إلى مؤازر.

1ــ قال تعالى: [كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً) (طه: 33ــ 34).

جاءت هاتين الآيتين الكريمتين في معرض سؤال موسى لربه ــ عز وجل ــ حين أمره بالذهاب إلى فرعون، قال تعالى: [ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِيۤ أَمْرِي * وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُواْ قَوْلِي * وَٱجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِيۤ أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً) (طه: 24ــ 35)، فدعا ربه أن يشرح له صدره وييسر له أمره، وأن يحلل عقدة من لسانه، وأن يجعل له من يؤازره في حمل الدعوة، وذكر أن أخاه هارون أنسب شريك له ومعين له في هذه الرسالة،" فإن التعاون لأنه مهيج الرغبات يتزايد به الخير، وقوله [إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً) أي عالماً بما حولنا، وبأن التعاضد مما يصلحنا، وأن هارون نعم المعين و الشاد لعضدي، لأنه أكبر مني سناً وأفصح لساناً"[2]

يقول ابن عاشور: " والذي ألجأ موسى إلى سؤال ذلك علمه بشدة فرعون وطغيانه، ومنعه الأمة من مفارقة ضلالهم، فعلم أن في دعوته فتنة للداعي، فسأل الإعانة على الخلاص من تلك الفتنة، ليتوفرا للتسبيح والذكر كثيراً"[3]

الثاني والعشرون: إنزال الماء لإحياء الناس.

1ــ قال تعالى: [لِّنُحْيِـيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً) (الفرقان: 49).

([1])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 7، ص 3942.

([2])الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 432.

([3])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 16، ص 214.

تبين الآية الكريمة إحياء الله للأرض بالمال الطهور، بعد موتها " ووصفها بالحياة والموت مجازان للري والجفاف؛ لأن ري الأرض ينشأ عنه النبات، وهو يشبه الحي، وجفاف الأرض يجف به النبات فيشبه الميت "[1].

وتخصيص الأنعام وكثير من الناس بالسقيا هنا " لأن أهل القرى والأمصار يقيمون بقرب الأنهار والمنابع، فبهم وبمالهم من الأنعام غنية عن سقي السماء " [2]

وسبب تقديم الأنعام على الناس؛ لأنها " حيث كانت قنيَّة للإنسان، وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها، قدم سقيها على سقيهم، كما قدم عليها إحياء الأرض؛ فإنه سبب لحياتها وتعيشها، فالتقديم من باب تقديم الأسباب على المسببات "[3].

وكل هذا يأتي لبيان نعم الخالق المتفضل على عباده مما يوجب عليهم توحيده وشكره.

الثالث والعشرون: قص القرآن الكريم على بني إسرائيل أكثر ما يختلفون فيه.

1ــ قال تعالى: **[إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)** (النمل: 76) يقول الله ــ عز وجل ــ: " إن هذا القرآن يفصل بالحق في كثير مما اختلف فيه بنو إسرائيل؛ كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه، فاليهود افتروا والنصارى غلوا، فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل: أنه عبد من عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام "[4].

قال تعالى: **[مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)** (مريم: 34).

وتدل هذه الآية الكريمة على كثرة اختلافهم في أمورهم " وأكثر الذي يختلفون فيه هو ما جاء في القرآن من إبطال قولهم فيما يقتضي إرشادهم إلى الحق أن يبين لهم، وغير الأكثر ما لا مصلحة في بيانه لهم " [5].

([1])ابن عاشور، المصدر نفسه، ج 18، ص432.

([2])الآلوسي، روح المعاني، ج 19، ص 31.

([3])الآلوسي، روح المعاني ، ج 19، ص 31.

([4])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 361.

([5])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 20، ص 30.

وتدل كذلك على أن القرآن كتاب هداية لو اتبعه الخلق لحصل لهم خيري الدنيا والآخرة .

الرابع والعشرون: كثرة عمارة من سبقوا للأرض.

وقد وردت آيتان كريمتان في هذا الموضوع وهما على النحو التالي:

1ـ قال تعالى:[أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوۤاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوۤاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] (الروم: 9).

يقول الشيخ الشعراوي: " السير في الأرض نظر له الدين من ناحيتين: سير يُعَدُّ سياحة للاعتبار، وسيْر يُعَدُّ سياحة للاستثمار، فالسير للاعتبار أن تتأمل الآيات في الأرض التي تمر بها "[1].

ويبين سبب استعمال حرف الجر " في " هنا، فيقول: " هذا من دقة الأداء القرآني، ومظهر من مظاهر إعجازه، فالظاهر أننا نسير على الأرض، لكن التحقيق أننا نسير في الأرض؛ لأن الذي خلقنا وخلق الأرض قال: [سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ] (سبأ: 18)، ذلك لأن الأرض ليست هي مجرد اليابسة التي تحمل الماء، والتي نعيش عليها، إنما الأرض تشمل كل ما يحيط بها من الغلاف الجوي؛ لأنها بدونه لا تصلح للعيش عليها، إذن: فغلاف الأرض من الأرض، فحين نسير لا نسير على الأرض إنما في الأرض "[2]، وفي الآية الكريمة حثٌ على السير في الأرض، للنظر بعين العقل في آثار الأمم السابقة، الذين عمروا الأرض واستثمروها لكنهم لما كذبوا رسلهم أهلكهم الله ـ تعالى ـ " فلم يقدروا على الإمتناع مع شدة قواهم مما نزل بهم من عقاب الله، ولا نفعتهم عمارتهم ما عمروا من الأرض،... فأحل الله بهم بأسه، فما كان الله ليظلمهم بعقابه إياهم على تكذيبهم رسله، وجحودهم آياته، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بمعصيتهم ربهم "[3].

([1])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 18، ص 11323.

([2])الشعراوي، تفسير الشعراوي ، مج 18، ص 11323.

([3])الطبري، جامع البيان، مج 9، ص 43.

والآية تدل على أن الله تعالى أهلك من هم أشد قوة ، وهو قادر على اهلاكهم، وهذا ترهيب من الله عز وجل .

2ـ قال تعالى: [أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوۤاْ أَكْـثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي ٱلأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) (غافر: 82).

وهذه الآية الكريمة كالآية السابقة في حث أولئك المكذبون على السير في مناكب الأرض، والنظر في مآل الأمم الخالية، والسير المراد هنا ليس كأي سير، بل هو " سيرٌ تحصل فيه آيات ودلائل على وجود الله ووحدانيته "[1].

الرابع والعشرون: كثرة الغافلين عن آيات الله.

1ـ قال تعالى: [فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) (يونس: 92).

والآية تتحدث عن فرعون وكيف أن الله ـ تعالى ـ أغرقه وأنجى موسى ـ عليه السلام ـ بمعجزة تعجز عن إدراكها الأذهان " فقوله: [فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) ذلك أن " بعض بني إسرائيل شكوا في موت فرعون؛ فأمر الله البحر أن يلقيه بجسده سوياً بلا روح، وعليه درعه المعروفة، على نجوة من الأرض؛ وهو المكان المرتفع؛ ليتحققوا من موته وهلاكه." [2].

ومعنى كونه آية: " أن تظهر للناس عبوديته ومهانته، وأن ما كان يدعيه من الربوبية باطلٌ محال "[3].

ولما كان المقصود من ذكر هذه القصص وبيان عاقبة من يطغى ويتجبر هو حصول الإعتبار بحالهم، والإبتعاد عن أسباب هلاكهم، وكانت النتيجة أن غفل الناس عن آيات ربهم، قال تعالى: [وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ)؛ أي أنهم غافلون " عن حججنا وأدلتنا على أن العبادة والألوهة لله خالصة." [4].

([1])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 22، ص 219.

([2])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 412.

([3])الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 202.

([4])الطبري، جامع البيان، مج 6، ص 608.

وفي الآية تحذير للناس من الغفلة عن آيات الله عز وجل .

الخامس والعشرون: كثرة الفاسقون.

1ــ قال تعالى:[**وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّه عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ**) (الأنعام: 119).

" هذه إباحة من الله لعباده المؤمنين، أن يأكلوا ما ذكر عليه اسمه، ومفهومه أنه لا يباح ما لم يذكر اسم الله عليه... ثم ندب إلى الأكل مما ذكر اسم الله عليه "[1].

وقد بين ــ عز وجل ــ ما يحل وما يحرم من المطاعم والمشارب، ووضحه في كتابه العزيز مما لا يترك مجالاً لصاحب هوى أن يدرك فرجة يخالف فيها أمر الله، لكن مع هذا البيان فإن المعتدين من أصحاب الهوى يتجاوزون الحلال إلى الحرام، والله عالمٌ باعتدائهم وافترائهم.

" وفيه إعلام للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بتوعد الله هؤلاء الضالين المضلين؛ فالإخبار بعلم الله بهم كناية عن أخذه إياهم بالعقوبة وأنه لا يفلتهم "[2]

2ــ قال تعالى:[**وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ**) (الأعراف: 102).

يقول صاحب الكشاف:" الضمير للناس على الإطلاق؛ أي: ما وجدنا لأكثر الناس من عهد، يعني أن أكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الإيمان والتقوى "[3]

وذلك أن سياق الآيات يتحدث عن أهل القرى الذين كذبوا بما أرسل إليهم، قال تعالى:[**وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْاْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ**

([1])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 160.

([2])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 8، ص 34.

([3])الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 79.

بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْخَاسِرُونَ* وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُمْ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَٰتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْخَاسِرُونَ) (الأعراف: 94ـ 102).

يقول سيد قطب: " إن السياق القرآني هنا لا يروي حادثة، إنما يكشف عن سنة، ولا يعرض سيرة إنما يعلن عن خطوات قدر، ومن ثم ينكشف أن هناك ناموساً تجري عليه الأمور، وتتم وفقه الأحداث، ويتحرك به تاريخ الإنسان في هذه الأرض"[1].

السادس والعشرون: كثرة أتباع الجن.

1ـ قال تعالى:[قَالُواْ سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْـثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ) (سبأ: 41).

وهذا القول للملائكة والآية قبلها توضح ذلك، قال تعالى: [وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهَـٰؤُلاَءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ) (سبأ: 40).

وقوله: [يَحْشُرُهُمْ)؛ أي: " المستكبرين والمستضعفين أو الفريقين وما كانوا يعبدون من دون الله ـ عز وجل ـ "[2]

" وإنما خصص الملائكة بالذكر مع أن بعض الكفار قد عبد غيرهم من الشياطين والأصنام؛ لأنهم أشرف معبودات المشركين "[3]

وقول الملائكة: [سُبْحَانَكَ) تبرؤ من الرضا بأن يعبدهم المشركون؛ لأن الملائكة لما جعلوا أنفسهم موالين لله فقد كذبوا المشركون الذين زعموا لهم الألهية؛ لأن العابد لا يكون معبوداً "[4]

2ـ قال تعالى: [وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ) (يس: 62).

([1])سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 3، ص 1336.

([2])الآلوسي، روح المعاني، ج 22، ص 151.

([3])الشوكاني، فتح القدير، ج 22، ص 380.

([4])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 22، ص 222.

جبلاً: " بكسر الجيم وتشديد اللام، الخلق الكثير "[1]، وهذه الآية تبين كثرة من اتبع الشيطان وضل عن سواء السبيل، على الرغم من أن الله تعالى نبه عباده وعهد إليهم أن لا يعبدوا الشيطان، وبين عداوته لهم، قال تعالى:[أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ] (يس: 60).

وعهده إليهم معناه: " ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته، الزاجرة عن عبادة غيره، وجعلها عبادة الشيطان لأنه الآمر بها والمزين لها "[2].

السابع والعشرون: كثرة المعرضين عن آيات الله.

1ـ قال تعالى:[حـمٓ * تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ] (فصلت: 1ـ 4).

وإنما أنزل القرآن ببيانه ووضوحه لهداية الناس فهو " تارة يبشر المؤمنين، وتارة ينذر الكافرين "[3]

ومع ذلك فإن المشركون لم ينفعهم ذلك البيان " فأعرض أكثر هؤلاء عما في القرآن من الهدى فلم يهتدوا، ومن البشارة فلم يُعنوا بها، ومن النذارة فلم يحذروها، فكانوا في أشد الحماقة؛ إذ لم يُعنوا بخير، ولا حذروا الشر؛ فلم يأخذوا بالحيطة لأنفسهم "[4]

الثامن والعشرون: ظن الكافرين أن الله لا يعلم كثيراً مما يعملون.

1ـ قال تعالى: [وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ] (فصلت: 22).

وهذا معناه أن الكفار يظنون أن الله لا يعلم كثيراً مما يعملون، لكنه تعالى يقول: [حَتَّىٰ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ](فصلت: 20) فجوارحهم تشهد عليهم يوم القيامة. ومعنى [تَسْتَتِرُونَ]

([1])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 553.

([2])البيضاوي، أنوار التنزيل، ج 4، ص 271.

([3])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 92.

([4])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 22، ص 232.

فيه ثلاثة تأويلات: " أحدها يعني: وما كنتم تتقون، والثاني: وما كنتم تظنون، والثالث: وما كنتم تستخفون منها؛لأنه لا يقدر على الإستتار من نفسه "[(1)]

وقوله: [ولَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ)؛ أي: " ولكنكم استترتم لظنكم أن الله لا يعلم كثيراً مما كنتم تعملون، وهو الخفيات من أعمالكم "[(2)] ، وفي الآية تحذير من أن الله مطلعٌ على كل الأمور والأعمال ، لذا يجب الحذر .

الثامن والعشرون: كثرة من ضلوا بعبادة الأصنام.

1ــ قال تعالى:[**وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيراً وَلاَ تَزِدِ ٱلظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلاَلاً**) (نوح: 24).وهذه الآية تبين حال قوم نوح لما قالوا:[**وَقَالُواْ لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً**) (نوح 23) فقد بين الله تعالى أنهم أضلوا كثيراً من الخلق بقولهم هذا.

وقوله: [أَضَلُّواْ) أي الرؤساء، و [كَثِيراً)؛ أي " خلقاً كثيراً " قبل هؤلاء الموصين بأن يتمسكوا بعبادة الأصنام فهم ليسوا بأول من أضلوهم "[(3)]

ويفسر سيد قطب الآية الكريمة ويربطها بالواقع في صورة مجملة، بقوله: " وهكذا تلك القيادات الضالة المضللة تقيم أصناماً، تختلف أسماؤها وأشكالها، وفق النعرة السائدة في كل جاهلية، وتجمع حواليها الأتباع، وتهيج في قلوبهم الحمية لهذه الأصنام، كي توجههم من هذا الخطام إلى حيث تشاء، وتبقيهم على الضلال الذي يكفل لها الطاعة والإنقياد، [وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيراً) ككل قيادة ضالة تجمع الناس حول الأصنام؛ أصنام الأحجار، وأصنام الأشخاص، وأصنام الأفكار،...للصد عن دعوة الله، وتوجيه القلوب بعيداً عن الدعاة، بالمكر الكبار والكيد والإصرار "[(4)].

التاسع والعشرون: كثرة عطاء الله لمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ.

1ــ قال تعالى: [**إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلأَبْتَرُ**) (الكوثر: 1ــ 3).

([1])الماوردي، النكت والعيون، مج 5، ص 176.

([2])النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، مج 2، ص92.

([3])الآلوسي، روح المعاني، ج 29، ص 78.

([4])سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 8، ص 305.

يقول تعالى ذكره لمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ: [إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ) والكوثر: " اسم النهر الذي أعطيه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الجنة، ووصفه بالكثرة لعظم قدره "[1].

وقد استعمل هنا لفظ الإعطاء ولم يستعمل لفظ الإيتاء لسبب يوضحه الشيخ فضل عباس؛ حيث يقول: " الإعطاء إنما يكون على جهة التمليك، وقد لا يكون الإيتاء على جهة التمليك... الإيتاء لا يكون إلا للشيء الكثير والعظيم الشأن، وقد يكون الإعطاء للقليل "[2].

وبالنظر في هذه الآية الكريمة على ضوء المعاني السابقة، يكون المعنى أن "هذا الذي أُعطيه محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ هو قليل في حقه، وهو قليلٌ كذلك إذا قيس إلى ما هو أعظم منه "[3]

وقد وردت في صفته أحاديث كثيرة، منها:

1ــ قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: " أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفاً فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر"[4].

2ــ ما ورد في صحيح البخاري:أن عائشة ــ رضي الله عنها سُألت عن قوله تعالى: [إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ) قالت:" نهرٌ أُعطيه نبيكم ــ صلى الله عليه وسلم ــ شاطئاه عليه درٌ مجوف، آنيته كعدد النجوم " [5].

([1])الطبري، جامع البيان، مج 12، ص 719.

([2])عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص 182.

([3]) عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص 182.

([4])البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة الكوثر، حديث رقــم 4964، ج 3، ص 402.

([5])البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة الكوثر، حديث رقــم 4965، ج 3، ص 402.

نتائج المبحث :

تظهر دلالة الكثرة من موضوعاتها في القرآن الكريم ومن موضوعاتها كثرة الذين لا يعلمون؛ وهؤلاء في غالب الأحيان لا يتصور منهم الرقي بعقولهم حتى يصلوا إلى الإيمان؛ ولذلك اتسعت دائرة الذين لا يؤمنون.

وهذا يوصل إلى كثرة أهل النار من الجن والإنس؛ لأنهم لم يُعملوا عقولهم في استظهار الحق واتباعه.

وإذا كانت كثرة أهل النار مما تشُق على من يذكرها إلا أن كثرة ثبور أهل النار وعذابهم يزيد العناء، ويدفع بالنفس اللوامة إلى الفرار إلى ربها راجية عفوه، وطالبة رضاه، ويفتح الأذهان على شكر أنعُم الله ــ تعالى ــ الكثيرة، والإنتباه إلى خطر الاستكثار من المال والولد، وكل ما له أن يلهي عن عباده رب العباد.

2.3 دلالة الكثرة في القسم المدني:

أولاً: كثرة الذين لا يؤمنون.

وهذا الموضوع من المواضيع المشتركة في القسم المكي والمدني في القرآن الكريم، وقد وردت فيه آية مدنية واحدة،وهي قوله تعالى: **[أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ]** (البقرة: 100).

والآية تتحدث عن بني إسرائيل ونبذهم للعهود والمواثيق، وهذه العادة كما تبين من خلال مواضيع سابقة أنها إحدى خصائصهم التي لا يحيدون عنها.

وأما العهد المقصود في هذه الآية الكريمة فإنه " الميثاق الذي أعطته بنو إسرائيل ربَّهم ليعملن بها في التوراة مرة بعد أخرى، ثم نقض بعضهم ذلك مرة بعد أخرى، فوبخهم ــ جل ذكره ــ بما كان منهم من ذلك وعيّر به ابنائهم؛ إذ سلكوا منهاجهم في بعض ما كان ــ جل ذكره ــ أخذ عليهم بالإيمان به من أمر محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ من العهد والميثاق، فكفروا وجحدوا ما في التوراة من نعته وصفته " [1]

([1])الطبري، جامع البيان، ج 1، ص 442.

ويشهد لذلك ما ورد في سورة الأنفال، قال تعالى: **[ٱلَّذِينَ عَاهَدْتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ)** (الأنفال: 56).

ومعنى" نبذه " أي؛ طرحه [1].

وإنما اختص – سبحانه – فريق منهم بذلك الغدر "لأن منهم من لم ينقض"[2].

وهذا يبين الإنصاف الذي تتميز به عقيدة الإيمان؛ فلا يُظلم الكل بما يقترف البعض ولو كان هؤلاء البعض هم الأغلب.

لذلك قال تعالى: **[** بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ **)**.

يقول صاحب روح المعاني:" يحتمل أن يراد بالأكثر النابذون، وأن يراد من عداهم، فعلى الأول: يكون ذلك رداً لما يتوهم أن الفريق هم الأقلون بناءً على أن المتبادر منه القليل، وعلى الثاني: ردٌّ لما يتوهم أن من لم ينبذ جهاراً يؤمنون به سراً"[3].

ثانياً: كثرة أهل الكتاب الذين يريدون ردَّ المؤمنين إلى الكفر.

1– قال تعالى: **[وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** (البقرة: 109).

" يحذر – تعالى – عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم "[4]، والحسد هو " تمني زوال النعمة عما تكره "[5]؛ فالداعي لهم على ذلك الحسد هو نعمة الإسلام التي " جعلت المسلمين

([1])الجلالين، تفسير الجلالين، ص 15.

([2])الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 171.

([3])الآلوسي، روح المعاني، ج 2، ص 336.

([4])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 146.

([5])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 1، ص 524.

إخواناً متحابين متكاتفين مترابطين... بينما هم شيع وأحزاب وهذا الحسد من عند أنفسهم لا تقره التوراة ولا كتبهم "[1]

ثم يأمرهم ــ سبحانه ــ بالعفو والصفح عنهم إلى أن يأتي الله بأمره، وفي ذلك " تطميناً لخواطر المأمورين حتى لا ييأسوا من ذهاب أذى المجرمين لهم بطلاً، وهذا أسلوب مسلوك في حمل الشخص على شيء لا يلائمه "[2]

فمعنى العفو: " التجافي عن الذنب"[3].

ومعنى الصفح:" ترك التثريب، وهو أبلغ من العفو"[4]

والفرق بين العفو والصفح دقيقٌ يبينه الشيخ الشعراوي ــ رحمه الله ــ بقوله: " عفت الريح الأثر أي مسحته وأزالته... ولذلك فإن العفو أن تمحو من نفسك أثر أي إساءة؛ وكأنه لم يحدث شيء...، والصفح يعني: طي صفحات هذا الموضوع؛ فلا تجعله في بالك ولا تجعله يشغلك "[5].

2ــ قال تعالى: **[فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنَ سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيراً)** (النساء: 160).

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق ذكر المنكرات التي اقترفها اليهود وما نالهم من الجزاء عليها في دنياهم وأخراهم،فقد بدأت الآيات بذكر كيفية تعاملهم مع موسى ــ عليه السلام ــ قال تعالى:**[يَسْأَلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذٰلِكَ فَقَالُوۤاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَاناً مُّبِيناً)** (النساء: 153).

([1])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 1، ص 524.

([2])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص 671.

([3])الأصفهاني، المفردات، باب العين، ص 441.

([4])الأصفهاني، المفردات ، باب الصاد، ص 370.

([5])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 1، ص 525.

فهم سألوه أن يروا الله جهرة ثم اتخذوا العجل ونقضوا العهد وقتلوا الأنبياء، وقالوا على مريم بهتاناً عظيماً وقالوا أنهم قتلوا عيسى، وبعد ذكر كل هذه الجرائم جاء قوله تعالى: [فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ]

فالباء في قوله: [فبظلم] للسببية، والتنكير والتنوين للتعظيم؛ أي فبسبب عظيم حرمنا عليهم طيبات أُحلت لهم،لا بسبب شيء آخر كما زعموا أنها كانت محرمة على من قبلهم "[1]

وقوله تعالى: [وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيراً]

معناه: أنهم " ناساً كثيراً أو صداً كثيراً"[2]

ثم يتابع السياق الحديث عن جرائمهم بقوله: [وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً] (النساء: 161).

3ـ قال تعالى: [وَحَسِبُوٓاْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ] (المائدة: 71).

وهذه الآية متعلقة بالآية التي سبق الحديث عنها من سورة النساء؛ حيث أنها تصف حال بني إسرائيل، والمعنى " وحسب بنو إسرائيل أنه لا يصيبهم من الله فتنة، أي من بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة، [فَعَمُواْ] عن الدين [وَصَمُّواْ] حين عبدوا العجل، ثم تابوا عن عبادة العجل [ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ] كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله، وهو الرؤية "[3].

يقول الشيخ الشعراوي:" فوسائل الإدراك: سمع، وبصر، وفؤاد. وما تراه العين هو تجربة الإنسان بنفسه. أما ما يسمعه الإنسان فهو تجربة كل غير له. وبذلك يكون السمع اكثر اتساعاً من العين "[4] ، ثم يضيف قائلاً: " فهو سبحانه يسألهم أولاً عن التجربة الشخصية فيهم. ولم يسألهم عن الذي سمعوه عن غيرهم فقط، " فعموا " أي لم يروا حتى الأمور المتعلقة بهم، ولم ينظروا في آيات الكون ولم يسمعوا البشير

([1])الشوكاني، فتح القدير، ج 1، ص 536.

([2])الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 590.

([3])الزمخشري، الكشاف ، ج 1، ص 663.

([4])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج6، ص 3310.

ولا النذير ولا المنهج من الله ولا اتفقوا على تنفيذه. وسبحانه يعاتبهم أولاً أنهم لم يستعملوا عيونهم. وحتى لو افترضنا أنهم لم يروا آيات الكون بأنفسهم فما بالهم لا ينظرون وقد جاءهم الرسول ودعاهم لينظروا في كون الله وأن يعتبروا "[1].

وقوله:[كَثِيرٌ مِّنْهُمْ) ففي تخصيص الكثير إنصاف لمن سلك طريق الحق منهم إذ أنه " من الضروري أنه لا تخلو أمة ضالة في كل جيل من وجود صالحين فيها "[2].

وفي الموضوع ذاته يأتي قوله تعالى:[قُلْ يَـٰأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوۤاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ) (المائدة: 77). بأسلوب نهي أهل الكتاب عامة عن الغلو في الدين واتباع الأهواء، والغلو:" مصدر من غلا في الأمر إذا جاوز حده المعروف "[3]

ثالثاً: كثرة ما يضاعفه الله للمتصدقين من أجر.

ــ قال تعالى: [مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَٰعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (البقرة: 245).

جرى الكلام هنا على طريق الإستفهام لما في ذلك من" الترغيب في الدعاء إلى الفعل أقرب من ظاهر الأمر "[4]

ففي هذه الآية حث على الإنفاق والبذل في سبيل الله، وهوالغني ــ سبحانه ــ عن كل هذا؛ وإنما جعل ذلك باباً لمضاعفة الأجر، قال تعالى:[مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: 261).

وسر التعبير بـــ " سنابل " هنا هو " أن (سنابل) جمع كثرة، وقد سيقت في مقام التكثير ومضاعفة الأجور؛ فجيء بها على (سنابل) لبيان التكثير "[5].

([1])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 6، ص 3310.

([2])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 279.

([3])ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج 6، ص 290.

([4])الرازي، التفسير الكبير، ج 6، ص 168.

([5])السامرائي، فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، ط 4، 2006م، ص 40.

" فالكثير من الله لا يحصى، وقوله: [وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ).أي: أنفقوا ولا تبالوا؛ فالله هو الرزاق، يضيّق على من يشاء من عباده في الرزق، ويوسعه على آخرين، له الحكمة البالغة في ذلك "(1)

وسبب تقييد " كون القرض حسناً يحتمل وجوهاً:

أحدها: أنه أراد به حلالا خالصاً لا يختلط به الحرام... وثانيها: أن لا يتبع ذلك الإنفاق منّاً ولا أذى، وثالثها: أن يفعله على نية التقرب إلى الله تعالى؛ لأن ما يفعل رياءً وسمعة لا يُستحق به الثواب "(2).

رابعاً: كثرة الذين لا يشكرون.

ــ قال تعالى:[**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**) (البقرة: 243).

[أَلَمْ تَرَ) تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين، وتعجيب من شأنهم، ويجوز أن يخاطب به من لم يَرَ ولم يسمع لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب "(3).

وقد ورد في قصة هؤلاء الخارجين روايات كثيرة أوردها المفسرون، ولكن كما يقول ابن عطية:" وهذا القصص كله لين الأسانيد، وإنما اللازم من الآية أن الله ــ تعالى ــ أخبر نبيه محمداً ــ صلى الله عليه وسلم ــ أخباراً في عبارة التنبيه والتوفيق، عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فراراً من الموت، فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم، ليروا هم وكل من خلف بعدهم أن الإماتة إنما هي بيد الله لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف ولاغترار مغتر "(4).

ثم يبين ــ عز وجل ــ أنه " متفضل على كافة الخلق في الدنيا ويخص المؤمنين بفضله يوم القيامة، [وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ) يعني أن أكثر من

---

(1)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 284.

(2)الرازي، التفسير الكبير، ج 6، ص 168.

(3)الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 290.

(4)ابن عطية، المحرر الوجيز، ج 1، ص 328.

أنعم الله عليه لا يشكره؛ أما الكافر فإنه لا يشكر أصلاً، وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره "[1]؛ فالآية إذن حثٌ على الشكر .

خامساً: كثرة ما في الحكمة من خير.

ــ قال تعالى:[**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ**) (البقرة: 269).

الحكمة: هي "إصابة الحق بالعلم والعقل "[2]، فهي " مأخوذة من الحُكم وفصل القضاء "[3]، يقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: " اعلم أنه ــ تعالى ــ لما ذكر في الآية المتقدمة أن الشيطان يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء، وأن الرحمن يعد بالمغفرة والفضل؛ نبه على أن الأمر الذي لأجله وجب ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان هو أن وعد الرحمن ترجحه الحكمة والعقل، ووعد الشيطان ترجحه الشهوة والنفس؛ من حيث أنهما يأمران بتحصيل اللذة الحاضرة واتباع أحكام الخيال والوهم، ولا شك أن حكم الحكمة والعقل هو الحكم الصادق المبرأ عن الزيغ والخلل"[4]

وقوله:[خَيْراً كَثِيراً) أي عظيماً قدره، جليلاً خطره "، وقد نُكِّر هنا " تنكير تعظيم؛ والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآية في معنى الإنفاق "[5]

سادساً: كثرة الربيون.

ــ قال تعالى: [**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّابِرِينَ**) (آل عمران: 146).

[وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ) معناه: " وكم من نبي "[6]، وكلمة (رِبِّيّون) يقول فيها الإمام الطبري:" فإن أهل العربية اختلفوا في معناه؛ فقال بعض نحويي البصرة: هم الذين

([1])الخازن، لباب التأويل مع معاني التنزيل، ج 1، ص 169.
([2])الأصفهاني، المفردات، باب الحاء، ص 167.
([3])الطبري، جامع البيان، مج 3، ص 89.
([4])الرازي، التفسير الكبير، ج 7، ص 67.
([5])الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 316.
([6])الطبري، جامع البيان، مج 4، ص 216.

يعبدون الربّ واحدهم رِبِّيّ، وقال بعض نحويي الكوفة: لو كانوا منسوبين إلى عبادة الربِّ لكانوا "رَبِّيّون " بفتح الراء، ولكنهم العلماء والألوف، والرِّبِّيّون عندنا: الجماعة الكثيرة، واحدهم رِبّي "[1].

وهذه الآية " عاتب الله بها من انهزم يوم أحد، وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصيح بأن محمداً قد قُتل، فعذلهم الله على فرارهم وتركهم القتال "[2].

وفي هذه الآية حثٌ للمتخاذلين في كل عصر على بذل الأنفس رخيصة في سبيل الله ــ عز وجل ــ، قال تعالى: [**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللهِ كِتَٰباً مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي ٱلشَّٰكِرِينَ)** (آل عمران: 145)، فالآجال مكتوبة، والأعمار محدودة، فلا نامت أعين الجبناء !.

سابعاً: كثرة أذى الكافرين.

1ــ قال تعالى:[**لَتُبْلَوُنَّ فِيۤ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوۤاْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلأُمُورِ)** (آل عمران: 186).

" أعلم الله المؤمنين أنه سيبتليهم فينظر كيف صبرهم على دينهم، ثم قال [وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ)يعني: اليهود والنصارى؛ فكان المسلمون يسمعون من اليهود قولهم: عزير ابن الله، ومن النصارى: المسيح ابن الله، فكان المسلمون ينصبون لهم الحرب، ويسمعون إشراكهم "[3]، فقال الله:[وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلأُمُورِ)

ووصف أذاهم هنا بالكثير لأنه " خارج عن الحد الذي تحتمله النفوس غالباً"[4]، وهذا يدل على عِظم الابتلاء الذي وقع فيه المؤمنون لذلك كان حثهم على الصبر والتقوى بعد ذلك في موضعه.

([1])الطبري، جامع البيان، مج 4، ص 217.

([2])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 387.

([3])الطبري، جامع البيان، مج 4، ص 201.

([4])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 3، ص 190.

يقول سيد قطب: " ويبقى هذا التوجيه القرآني رصيداً للجماعة المسلمة كلما همّت أن تتحرك بهذه العقيدة، وأن تحاول تحقيق منهج الله في الأرض، فتجمعت عليها وسائل الكيد والفتنة، ووسائل الدعاية الحديثة؛ لتشويه أهدافها، وتمزيق أوصالها،.....ومن ثم تستبشر بالابتلاء والأذى والفتنة والادعاء الباطل عليها، وإسماعها ما يُكره وما يؤذي؛ تستبشر بهذا كله لأنها تستيقن منه أنها ماضية في الطريق التي وصفها الله من قبل، وتستيقن أن الصبر والتقوى هما زاد الطريق "[1].

2ـ قال تعالى: ﴿ **وَتَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي ٱلإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ (المائدة: 62).

يقول تعالى ذكره في هذه الآية الكريمة لنبيه محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ:" وترى يا محمد كثيراً من هؤلاء اليهود الذين قصصت عليك نبأهم من بني إسرائيل ﴿ يُسَارِعُونَ فِي ٱلإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ ﴾ يقول: يعجلون بمواقعة الإثم... والعدوان: مجاوزة الحد الذي حده الله لهم في كل ما حده لهم"[2].

وهذه الآية مكملة لمعنى الآية السابقة من سورة آل عمران في بيان أذى هؤلاء اليهود، وتسابقهم على ذلك الأذى، يقول الشيخ الشعراوي:" نلحظ أن كلمة " سارع" مثلها مثل كلمة "نافس"، تدل على أن هناك أُناساً في سباق؛ كأنهم يتسابقون على الإثم والعدوان، كأن الإثم والعدوان غاية منصوبة في أذهانهم، ومتفقة مع قلوبهم "[3].

ويلحظ الشيخ الشعراوي في تفسير هذه الآية إلى فرق دقيق بين الإثم والعدوان، فيقول: الإثم: هو الجرم على أي لون كان، والعدوان: هو إثم يأخذ به الإنسان حقاً لغيره "[4].

3ـ قال تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**

([1])سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 2، ص 182.

([2])الطبري، جامع البيان، مج 6، ص 297.

([3])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 6، ص 3258.

([4])الشعراوي، تفسير الشعراوي ، مج 6، ص 3258.

طُغْيَاناً وكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بيْنَهُمُ ٱلْعدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلأَرْضِ فَسَاداً وَٱللَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ) (المائدة: 64).

وهذه الآية أيضاً كما سبقها من الآيات تبين نوعاً آخر من أذى اليهود، وهو قولهم [يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ)، ومعنى قولهم هذا " الوصف بالبخل في العطاء، لأن العرب يجعلون العطاء معبراً عنه باليد، ويجعلون بسط اليد إستعارة للبذل والكرم." [(1)].

ثم قال تعالى:[وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً)، والمراد بالكثير:" علماء اليهود؛ يعني ازدادوا عند نزول ما أنزل إليك من ربك من القرآن والحجج شدة في الكفر وغلواً في الإنكار "[(2)].

4ـ قال تعالى:[**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنْجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ**) (المائدة: 66).

ويتتابع سياق هذه الآيات في الإخبار عن أهل الكتاب بأنهم " لو أقاموا هذه الكتب بعد مجيء الإسلام؛ أي بالاعتراف بما في التوراة والإنجيل من التبشير ببعثة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى يؤمنوا به وبما جاء به، فتكون الآية إشارة إلى ضيق معاشهم بعد هجرة الرسول إلى المدينة "[(3)].

ويؤيد ذلك ما ورد في الآية السابقة:[**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ**) (المائدة: 65).

وقوله:[مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ) " إنصاف لفريقٌ منهم بعد أن جرت تلك المذامِّ على أكثرهم "[(4)].

([1])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 249.

([2])الرازي، التفسير الكبير، ج 12، ص 44.

([3])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 253.

([4])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص254.

ويجري السياق هنا إلى أمر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يبلغ أهل الكتاب بقوله [قُلْ يَـٰأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنْجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ مَّآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ) (المائدة: 68).

والشيء: " اسم لكل موجود؛ فهو اسم متوغلٌ في التنكير، صادقٌ بالقليل والكثير...فالمراد هنا شيء من أمور الكتاب "[1].

والمعنى:[لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ) من الدين، ولا في أيديكم شيء من الحق والصواب، كما تقول:هذا ليس بشيء، إذا أردت تحقيره وتصغير شأنه "[2]

سابعاً: كثرة المسرفين من بني إسرائيل.

ــ قال تعالى: [مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيۤ إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلّبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي ٱلأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ)(المائدة: 32)، يقول تعالى: "من أجل قتل ابن آدم أخاه ظلماً وعدواناً كتبنا على بني إسرائيل؛ أي: شرعنا لهم وأعلمناهم،[أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلأَرْضِ)؛ أي: من قتل نفساً بغير سبب؛ من قصاص أو فساد في الأرض، واستحل قتلها بلا سبب أو جناية، فكأنما قتل الناس جميعاً؛ لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس، ومن أحياها؛ أي: حرم قتلها، واعتقد ذلك، فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الإعتبار"[3].

وقد ذكر سبحانه بني إسرائيل هنا لسبب وهو " أن بني إسرائيل اجترأوا لا على قتل النفس فقط بل اجترأوا على قتل النفس الهادية، وهي النفس التي تحمل رسالة النّبوة، ولذلك كان التخصيص، فقد قتلوا أنبيائهم الذين حملوا لهم المنهج

([1])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 265.

([2])الرازي، التفسير الكبير، ج 4، ص 51.

([3])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 45.

التطبيقي؛ لأن الأنبياء يأتون كنماذج تطبيقية للمناهج حتى يلفِتوا الناس إلى حقيقة تطبيق منهج الله "[1].

وقوله: [ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ) فِي ٱلأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ يعني أن " كثيراً من بني إسرائيل بعد مجيء رسل الله بالبينات في الأرض [لَمُسْرِفُونَ)؛ أي: أنهم في الأرض لعاملون بمعاصي الله، ومخالفون أمره ونهيه، ومحادوا الله ورسله؛ باتباعهم أهوائهم، كان إسرافهم في الأرض"[2].

ثامناً: كثرة المواطن التي يُهاجر إليها.

ـ قال تعالى: [**وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلأَرْضِ مُرَٰغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ من بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً**) (النساء: 100).

يقول الإمام الشوكاني:" هذه الجملة متضمنة للترغيب في الهجرة والتنشيط إليها، وقوله:[فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فيه دليل على أن الهجرة لا بد أن تكون بقصد صحيح ونية خالصة غير مشوبة بشيء من أمور الدنيا "[3].

ومعنى قوله [مُرَٰغَماً) المراغم:"اسم مكان من راغم إذا ذهب في الأرض، وفعل راغم مشتق من الرَّغام ــ بفتح الراء ــ وهو التراب، أو هو من راغم غيره إذا غلبه وقهره، ولعل أصله أنه أبقاه على الرغام، أي التراب؛ أي يجد مكاناً يرغم فيه من أرغمه؛ أي يغلب فيه قومه باستقلاله عنهم كما أرغموه بإكراهه على الكفر "[4].

ووصف المراغم بالكثير " لأنه أريد بها جنس الأمكنة "[5]، "وسياق الآيات قبل وبعد هذه الآية مرتبط بموضوع الهجرة والجهاد، قال تعالى: [**لاَّ يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ**

([1])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 5، ص 3086.

([2])الطبري، جامع البيان، مج 6، ص 205.

([3])الشوكاني، فتح القدير، ج 1، ص 505.

([4])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 3، ص 180.

([5])ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج 3، ص 180.

وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُـــلاًّ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً)(النساء: 95)
فالآيات تحث على الانضمام إلى الصف المسلم المجاهد في سبيل الله بالنفس والمال "[1].

وبعد ذلك تتحدث الآيات عن كيفية الصلاة عند الخوف، وهذا يدل على أهمية الصلاة في حياة المؤمن في أحواله كلها؛ لأنها الذخيرة الروحية التي يستمد منها العبد قوته وانتصاره.

تاسعاً: كثرة الإختلاف لو كان القرآن من عند غير الله.

ــ قال تعالى:[أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلاَفاً كَثِيراً) (النساء: 82).

وتأتي هذه الآية بين جنبات الحديث عن طبيعة المسلمين في مجتمع المدينة، وأن هؤلاء كانوا " في حاجة إلى جهود ضخمة من التربية والتوجيه، ومن الاستنهاض والتشجيع، لينهض بالمهمة الضخمة الملقاة على عاتق الجماعة المسلمة، والارتفاع إلى مستوى هذه المهمة؛ سواءً في التصورات الاعتقادية، أو في خوض المعركة مع المعسكرات المعادية "[2].

قال تعالى: [يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنْفِرُواْ جَمِيعاً)

ثم يأتي الحديث عن فئة المنافقين فيقول ــ عز وجل ــ:[وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي ٱلأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً * فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً)

وتتوسط الآية الكريمة:[أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلاَفاً كَثِيراً) (النساء: 82). ذلك الحديث كله، يقول الإمام الرازي " اعلم أنه ــ تعالى ــ لما حكى عن المنافقين أنواع مكرهم وكيدهم، وكان كل ذلك

([1])سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 2، ص 502.

([2])سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 2، ص 433.

لأجل أنهم ما كانوا يعتقدون كونه محقاً في ادّعاء الرسالة صادقاً فيه، بل كانوا يعتقدون أنه مفتر متخرص؛ فلا جرم أمرهم الله بأن ينظروا ويتفكروا في الدلائل الدالة على صحة نبوته "[1].

عاشراً: كثرة المغانم التي عند الله تعالى.

1ـ قال تعالى:[**يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَٰوةِ ٱلدُّنْيَا فَعِنْدَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذٰلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**) (النساء: 94).

يقول الإمام الرازي ــ رحمه الله ــ:" اعلم أن المقصود من هذه الآية المبالغة في تحريم قتل المؤمنين، وأمر المجاهدين بالتثبت فيه لئلا يسفكوا دماً حراماً بتأويل ضعيف " [2].

وهذا هو الحال اليوم؛ فالاستخفاف بأرواح العباد أصبح شرع المُغرر بهم في مشارق الأرض ومغاربها، فنرى القتل وسفك الدماء بلا حجة ولا برهان، هذا وهم يدعون الأصالة في الانتساب للإسلام، فأين هم من هذه الآية ؟.

وما أدق التعبير القرآني في بيان سبب إقدام هؤلاء على القتل، يقول ــ تعالى ــ:[تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَٰوةِ ٱلدُّنْيَا)ويقول لهم [فَعِنْدَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ) أي؛ يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الإسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله "[3]، وقد كررت كلمة [فَتَبَيَّنُواْ) مرتين في هذه الآية الكريمة تأكيداً لحرمة دم المسلم، يقول الإمام الشوكاني: " وكرر الأمر بالتبين للتأكيد عليه؛ لكونه واجباً لا فسحة فيه ولا رخصة "[4].

([1])الرازي، التفسير الكبير، ج 10، ص 196.

([2])الرازي، التفسير الكبير، ج 11، ص 2.

([3])الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 553.

([4])الشوكاني، فتح القدير، ج 1، ص 501.

2ــ قال تعالى: [وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً * وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً] (الفتح: 19ــ 20).

تتحدث الآية الكريمة عن عطاء الله تعالى للمؤمنين الذين بايعوا النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بيعة الرضوان لما علم منهم من الصدق والسمع والطاعة لأمر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ.

وبدأ العطاء بإخباره ــ تعالى ــ أنه رضي عنهم [لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً] (الفتح: 18).

وثنى بإنزال السكينة عليهم، وكان الفتح هو العطاء الثالث لهم؛ وهو " ما أجرى الله ــ عز وجل ــ على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة ثم سائر البلاد والأقاليم عليهم "[1].

ثم جاء الحديث عن الوعد بالمغانم الكثيرة التي سيأخذها المؤمنون " فالخطاب للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وللمسلمين تبعاً للخطاب الذي في قوله [إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ] وليس خاصاً بالذين بايعوا، والوعد بالمغانم الكثيرة واقع في ما سبق نزوله من القرآن وعلى لسان الرسول - صلى الله عليه وسلم - مما بلغه إلى المسلمين في مقامات دعوته للجهاد، ووصف " مغانم " بجملة (تأخذونها) لتحقيق الوعد "[2].

الحادي عشر: العفو عن كثير.

- قال تعالى: [يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُمْ مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ] (المائدة: 15).

([1])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 193.

([2])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 25، ص 177.

يخاطب الله ــ عز وجل ــ أهل الكتاب بأنه جاءهم [رَسُولُنَا] يعني " محمداً ــ صلى الله عليه وسلم ــ "[1]، ليبين لهم كثيراً مما يخفونه عن الناس من كتبهم [وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ] أي يعفو عن كثير مما يخفونه، " فيترك بيانه لعدم اشتماله على ما يجب بيانه عليه من الأحكام الشرعية؛ فإن ما لم يكن كذلك لا فائدة تتعلق بيانه إلا مجرد افتضاحكم "[2].

ثم يبين ــ عز وجل ــ أنه قد جاءهم من عنده [نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ] إذ أنهم لو اتبعوا ما فيه لكشفت عنهم ظلمات الشرك ولخرجوا إلى النور، قال تعالى: [يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ ٱلسَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِّنِ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ] (المائدة: 16).

الثاني عشر: كثرة الذين لا يعقلون.

- قال تعالى:[إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ] (الحجرات: 4).

وهذه الآية جاءت لبيان فضل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعظم قدره حتى أنه وصف أكثر من يناديه بأنهم لا يعقلون، وبيان لضرورة التأدب مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الخطاب والنداء وكل التعاملات والسورة من أولها جارية على بيان جانب من التعامل مع صفوة الخلق ــ محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ؛" فبدأت بإيجاب أن تكون الأمور التي تنتمي إلى الله ورسوله متقدمة على الأمور كلها من غير حصر ولا تقييد، ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر؛ كأن الأول بساط للثاني ووطأه لذكره ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا أصواتهم؛ دلالة على عظيم موقعه عند الله ــ عز وجل ــ، ثم جيء على عقب ذلك بما هو أطم وهجنته أتم؛ من الصياح برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر، كما يُصاح بأهون الناس قدراً"[3]

(1)الطبري، جامع البيان، مج 6، ص 160.

(2)الشوكاني، فتح القدير، ج 2، ص 23.

(3)الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 7.

وتتوالى الآيات في هذه السورة الكريمة في بيان جملة من الآداب التي ينبغي على المؤمن اتباعها.

يقول تعالى: [يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُواْ وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) (الحجرات: 12).

وفيها النهي عن اجتناب كثيراً من الظن، وجاءت [كَثِيراً) نكرة ل " تفيد معنى البعضية، وإن في الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين، لئلا يجترئ أحد على ظن إلا بعد نظر وتأمل "[1].

ثم جاء النهي عن التجسس والغيبة وكل ذلك من فُحش الأخلاق، وعدم نقاء السريرة، وفي ذلك النهي تهذيب للنفوس وتطهير لها من الآثام ولو كان ذلك مجرد ظن في النفس.

الثالث عشر: كثرة من يسجد لله تعالى.

ــ قال تعالى: [أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ) (الحج: 18).

يبين ــ عز وجل ــ في هذه الآية الكريمة أن جميع مخلوقاته منقادة إليه طوعاً وكرهاً، وقوله [مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ) أي: من الملائكة والجن والدواب والطير، وقوله: [وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ) إنما ذكر هذه على التنصيص؛ لأنها عبدت من دون الله، فبين أنها تسجد لخالقها، وأنها مربوبة مسخرة "[2].

وهنا نجد الإمام الرازي ــ رحمه الله ــ يلفت إلى فائدة عظيمة من خلال جوابه عن سؤال طرحه، فيقول: " قوله: [أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ) لفظه لفظ العموم فيدخل فيه الناس فلم قال مرة أُخرى [وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ)؟ فيجيب:" لو اقتصر على ما تقدم لأوهم أن كل الناس يسجدون كما أن كل

([1])الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 15.

([2])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 205.

الملائكة يسجدون؛ فبين أن كثيراً منهم يسجدون طوعاً دون كثير منهم، فإنه يمتنع عن ذلك وهم الذين حق عليهم العذاب "[1].

وبهذا التوضيح يزال الإشكال الحاصل في فهم سبب ذكر [وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ " بعد أن شملهم قوله تعالى [أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ).

الرابع عشر: الحث على ذكر الله كثيراً.

1ـ قال تعالى: [**ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسمُ ٱللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**) (الحج: 40).

والذين أُخرجوا من ديارهم هم " المؤمنون الذين أخرجهم كفار قريش من مكة "[2]، فتبين الآية الكريمة أن إخراجهم كان بغير حق؛ لأنهم ما أُخرجوا إلا لتوحيدهم لله ــ عز وجل ــ.

ثم يبين الله ــ تعالى ــ سنة من سنن الكون، وهي سنة التدافع وهي " سنة إلهية من سنن الاجتماع البشري بين أهل الحق وأهل الباطل، كل يدافع الآخر ويقاتله، وهي حكمته العليا من تدافع القوى وتنافس الطاقات "[3].

فلولا هذه السنة لوصل الفساد في الناس إلى حد هدم أماكن العبادة، فذكرت الصوامع والبيع وهي " أماكن عبادة النصارى "والصلوات وهي " أماكن عبادة اليهود، والمساجد وهي أماكن عبادة المسلمين "[4].

([1])الرازي، التفسير الكبير، ج 23، ص 19.

([2])الطبري، جامع البيان، مج 9، ص 162.

([3])الصرايرة، طالب محمد عبد القادر، سنة التدافع بين الحق والباطل في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، كلية الشريعة، 2006م، ص 495.

([4])ابن عطية، المحرر الوجيز، ج 4، ص 125.

وخصت المساجد بهذا الإسم " اعتناءً بشأنها من حيث أن السجود أقرب ما يكون العبد فيه إلى ربه ــ عز وجل ــ "[1].

وقوله: [يُذْكَرُ فِيهَا ٱسمُ ٱللَّهِ) صفة، والغالب في الصفة الواردة بعد جمل متعاطفة فيها أن ترجع إلى ما في تلك الجمل من الموصوف بالصفة... وفائدة هذا الوصف الإيماء إلى أن سبب عدم هدمها أنها يذكر فيها اسم الله كثيراً، أي؛ ولا تذكر أسماء أصنام أهل الشرك... فالكثرة مستعملة في الدوام لاستغراق الأزمنة، وفي هذا إيماء إلى أن في هذه المواضع فائدة دينية وهي ذكر اسم الله "[2].

الخامس عشر: كثرة الفاسقين.

1ــ قال تعالى: [**وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَاسِقُونَ**) (المائدة: 49).

يوجه الله ــ عز وجل ــ نبيه محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يحكم بين الناس بحكم الله الذي أنزله إليه وينهاه أن يتبع أهواء اليهود، يقول الإمام الطبري: " وأما قوله: [وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ) فإنه نهي من الله نبيه محمداًــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يتبع أهواء اليهود الذين احتكموا إليه... وأمر منه بلزوم العمل بكتابه الذي أُنزل إليه "[3].

ويحذره ــ عز وجل ــ أولئك اليهود أن يفتنوه فيصدوه عن بعض ما أُنزل إليه من ربه.

وبعد ذلك يقول له ــ تعالى ــ: [فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ)أي أن توليهم عن حكم الله واحد من ذنوب لهم " كثيرة العدد، وأن هذا الذنب مع عظمه واحد منها، وهذا الإبهام لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه "[4].

([1])الآلوسي، روح المعاني، ج 17، ص 164.

([2])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 16، ص 278.

([3])الطبري، جامع البيان، مج 6، ص 273.

([4])الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 641.

ثم يبين ــ عز وجل ــ أن كثيراً من الناس لفاسقون؛ أي:" لمتمردون في الكفر معتدون فيه، يعني أن التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر"[1].

ثم تأتي آية ثانية في نفس السورة فتخاطب أهل الكتاب مباشرة، وتبين سبب نقمتهم على المؤمنين، قال تعالى: **[قُلْ يَـٰأَهْلَ ٱلْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ)** (المائدة: 59).

وكلمة (تنقمون) ــ بكسر القاف ــ تعني: " تعيبون منا وتنكرون "[2].

وتأتي آيةٌ ثالثة في سورة المائدة أيضاً تؤكد على المعنى ذاته، فتبين أن الإعراض عن اتباع حكم الله سبب وصفهم بالفسق والتمرد، والآية هي قوله تعالى: **[وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)** (المائدة: 81).

وسياق الآيات قبلها جاء على النحو التالي، قال تعالى: **[لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِيۤ إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ تَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ)** (المائدة: 78ــ 80).فالآيات تبين " لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه "[3].

2ــ قال تعالى: **[كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ)** (التوبة: 8).

فالآية الكريمة تكشف سوء حال الكفار وأنهم يتربصون بالمؤمنين الدوائر ولا يراعوا فيهم إلا ولا ذمة، والإل: " العهد"[4]، والذمة: " الحق الذي يُعاب على

([1])الزمخشري، الكشاف ، ج 1، ص 641.

([2])الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 650.

([3])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 78.

([4])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ج 2، ص 323.

إغفاله"، كما أنهم يظهرون خلاف ما يبطنونه **[يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ)** (التوبة: 8).

وتخصيص أكثرهم بالفسق في قوله:[وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ) " لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر إلى أُحدوثة السوء"[1].

3ـ قال تعالى: **[أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلاَ يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)** (الحديد: 16).وفي الآية حثٌ على الخشوع لذكر الله، ومعناها كما يقول الإمام الرازي:" لعل طائفة من المؤمنين ما كان فيهم مزيد خشوع ولا رقة، فحثوا عليه بهذه الآية، ولعل قوماً كان فيهم خشوع كثير ثم زال منهم شدة ذلك الخشوع فحثوا على المعاودة إليها "[2].

ثم ينهاهم ــ عز وجل ــ أن يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل؛ بقسوة قلوبهم التي أدت بهم إلى الفسق.

وقوله:[وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) أي " خارجون عن دينهم، رافضون لما في الكتاب، وكأنه إشارة إلى أن عدم الخشوع في أول الأمر يفضي إلى الفسق في آخر الأمر ".

4ـ قال تعالى: **[لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ   وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)** (الحديد: 25ـ 26).

ذكر الله ــ تعالى ــ إرسال الرسل بالهدى للناس ثم خص نوحاً وإبراهيم بالذكر " تشريفاً لهما بالذكر؛ لأنهما من أول الرسل "[3].

([1])البيضاوي، أنوار التنزيل، ج 3، ص 72.

([2])الرازي، التفسير الكبير، ج 29، ص 229.

([3])الرازي، التفسير الكبير، ج 29، ص 230.

ويبين ـ عز وجل ـ أنه جعل في ذريتهما النبوة والكتاب، ويعني بالكتاب " الكتب الأربعة "[1] ، وعلى الرغم من إرسال الرسل وتكريم ذريتهم بالنبوة وإنزال الكتب إليهم إلا أن منهم من اهتدى وكثيرٌ منهم تمردوا وفسقوا.

ثم يأتي قوله تعالى: **[ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ ٱلإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ٱبْتِغَآءَ رِضْوَانِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)** (الحديد: 27).

و " ثُمَّ " للتراخي الرتبي؛ لأن بعثة الرسل الذين جاءوا بعد نوح وإبراهيم ومن سبق من ذريتهما أعظم مما كان لدى ذرية إبراهيم قبل إرسال الرسل الذين قفّى الله بهم، إذ أُرسلوا إلى أمم كثيرة مثل عاد وثمود وبني إسرائيل، وفيهم شريعة عظيمة وهي شريعة التوراة "[2].

ثم يذكر ـ سبحانه ـ إرسال عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ على وجه الخصوص، ويفصل في حال من اتبعه، وكيف أنه ـ سبحانه ـ آتاه الإنجيل وجعل في قلوب الذين اتبعوه رأفة؛ أي "رقة، وهي الخشية ورحمةٌ بالخلق "[3]

وقوله تعالى: [وَرَهْبَانِيَّةً)، الرهبانية: " ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين، مخلصين أنفسهم للعبادة...فاختاروا الرهبانية، ومعناه: الفعلة المنسوبة إلى الرَّهبان وهو الخائف"[4]، وهذه الرهبانية ابتدعوها من تلقاء أنفسهم لم يكتبها الله عليهم.

ومعنى قوله [مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ)فيه قولان: " أحدهما: أنهم قصدوا بذلك رضوان الله عليهم، والآخر: ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله "[5].

([1])ابن عطية، المحرر الوجيز، ج 5، ص 269.

([2])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 27، ص 420.

([3])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، 316.

([4])الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 69.

([5])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 316.

ولكن مع أنهم ألزموا أنفسهم بما لم يكتب عليهم؛ إلا أنهم لم يلتزموا بذلك [فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا]" فتركوا دين الله وأمره وعهده الذي عهده إليهم، وأخذوا البدع...، وثبتت طائفة منهم على دين عيسى ــ صلوات الله عليه ــ حتى بعث الله محمداً ــ صلى الله عليه وسلم ــ فآمنوا به"[1]، فقال ــ تعالى ــ: [وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ].

السادس عشر: كثرة الخبيث.

ــ قال تعالى: **[قُل لاَّ يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يٰأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ]** (المائدة: 100).

" البونُ بين الخبيث والطيب بعيدٌ عند الله ــ تعالى ــ وإن كان قريباً عندكم؛ فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على القليل الطيب، فإن ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبيث، وفوات الطيب، وهو عامٌ في حلال المال وحرامه، وصالح العمل وطالحه، وصحيح المذاهب وفاسدها "[2].

يقول الشيخ الشعراوي ــ رحمه الله ــ: " وهذه قضية كونية مثلها تماماً مثل عدم تساوي الأعمى والبصير، وعدم استواء الظلمات والنور، ويأتي الحق إلى المحسات ليأخذ منها ما يوضح لنا الأمر المعنوي، ولذلك يحذرنا أن نغتر بكميات الأشياء ومقدارها؛ فإن الطيب القليل هو أربى وأعظم وأفضل من الكثير الخبيث، والأمر الطيب قد يرى الإنسان خيره في الدنيا،ومن المؤكد أن خيره في الآخرة أكثر بكثير مما يتصور أحد؛ لأن عمر الآخرة لا نهاية له، أما عمر الدنيا فمحدود"[3].

وهذه الآية توجيه للناس في كل زمان إلى أن ابتغاء الحلال أعظم وأوفر من طلب الحرام، وإن رأيناه بعقولنا القاصرة كثيراً وفيه منفعة جزيلة؛ فإن خالق كل شيء أعلم بأن الخبيث قليلٌ مهما كَثُر.

ولذلك أمثلة كثيرة في حياتنا اليوم؛ كأخذ القروض الربوية ذات المنفعة العاجلة والضرر الآجل، وغير ذلك من المعاملات القائمة على الحرام.

([1])الطبري، جامع البيان، مج 11، ص 690.

([2])الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 682.

([3])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 6، ص 3419.

ومن زاوية أخرى، نرى أن أتباع الباطل كُثُر في كل زمان؛ فالواجب عدم الاغترار بهذه الكثرة، وعدم الاستدلال بها على الحق لأن الكثرة والحق غير متلازمان.

السابع عشر: الحث على ذكر الله كثيراً.

1ــ قال تعالى: **[يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ)** (الأنفال: 45).

هذه الآية تخاطب المؤمنين وتحثهم على الثبات عند لقاء العدو، ولما كان الأمر في غاية الرهبة والشدة كان لا بد من توجيههم إلى الصلة به ــ سبحانه ــ لأن منه تستمد العزائم وتقوى الشكائم؛ فهو القادر بقدرته المطلقة ــ سبحانه ــ، وهو المتفرد بالقوة والجبروت، فلذلك كان ربط المؤمنين برباط الذكر في ساعة المواجهة من أجدر وسائل تحقيق النصر لهم.

لكن الذكر المطلوب هنا وصف بأنه " كثيراً" فما السر في ذلك ؟

يقول الشيخ الشعراوي ــ رحمه الله ــ:" وذكر الحق كلمة كثيراً هنا يعني: أن الإنسان قد يذكر الله عند اليأس فقط، فإن جاءت الحياة بعد ذلك بالرخاء فقد ينسى ذكر الله؛ لذلك يؤكد ــ سبحانه وتعالى ــ هنا أن يكون ذكر الله كثيراً؛ ليوالي الله نصر المؤمن على عدوه... وذكر الله كثيراً معناه: أنك تشعر في كل لحظة أن الله ــ سبحانه ــ معك؛ فتخشاه وتحمده وتستعين به، وهكذا تكون الصلة دائمة بينك وبين الله ــ عز وجل ــ في كل وقت "[1].

ومثل ذلك قوله تعالى: **[يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلاَةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** (الجمعة: 9ــ10).

فالآية الأولى تدعو المؤمنين إلى السعي إلى ذكر الله وترك ما يشغل عن صلاة الجمعة من التجارة، وفي الآية الثانية تتبين حركة المجتمع السوي بعد انقضاء

([1])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 8، ص 4722.

الصلاة، وابتغاء كل واحد من الناس رزقه ومصالحه، لكن الآية تنوه مرة أخرى إلى ذكر الله وتربطه بأسباب الفلاح " واذكروا الله..." فكأنه ــ سبحانه ــ يقول: " إياكم أن تلهيكم أعمالكم ومصالحكم الدنيوية عن ذكر الله، أو تعتقدوا أن ذكر الله في المسجد أو وقت الصلاة فقط؛ بل داوموا على ذكر الله في كل أحداث الحياة؛ فإن فعلتم ذلك وذكرتم الله كثيراً فستكونون من المفلحين "[1]

2ــ قال تعالى: **[لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً)** (الأحزاب: 21).

والخطاب هنا " للمؤمنين الخلص المخاطبين من قبل "[2]، في قوله تعالى: **[يَحْسَبُونَ ٱلأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ وَإِن يَأْتِ ٱلأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي ٱلأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُمْ مَّا قَاتَلُوۤاْ إِلاَّ قَلِيلاً)** (الأحزاب: 20).

والإسوة: " بكسر الهمزة وضمها، اسم لما يؤتسى به؛ أي: يُقتدى به ويعمل مثل عمله...، وجعل متعلق الائتساء ذات الرسول دون وصف خاص ليشمل الائتساء به في أقواله بامتثال أوامره واجتناب ما ينهى عنه، والائتساء بأفعاله من الصبر والشجاعة والثبات "[3].

فالأسوة بمعناها العام " الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً وإن ساراً وإن ضاراً "[4]؛ لذلك وصفها ــ سبحانه ــ بالحسنة تقييداً لها بذلك؛ كونها اتباع لسيد الخلق محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ.

ومما يجدر ذكره أن هذه الآية الكريمة جاءت في معرض الحديث عن فئة المعوِّقين الذين ظهروا في العهد المدني وهم يحاولون خذلان المؤمنين في ساعات المواجهة والقتال بالقول والفعل، يقول ــ عز وجل ــ :**[قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ**

([1])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 8، ص 4723.

([2])الآلوسي، روح المعاني، ج 22، ص 167.

([3])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 21، ص 302.

([4])الأصفهاني، المفردات، باب الألف، ص 22.

ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أوْلَـٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً) (الأحزاب: 18ــ19).

لذلك وجه الله ــ عز وجل ــ المؤمنين إلى التمسك بالنموذج البشري الفذ في الثبات والإقدام، وهو شخص نبينا الأكرم ــ صلى الله عليه وسلم ــ " وكأن الأسوة الحسنة مكانها كل رسول الله، فهو ــ صلى الله عليه وسلم ــ ظرفٌ للأسوة الحسنة في كل عضو فيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ "[1].

وقوله تعالى:" لمن كان يرجو.." أي أن هذه الأسوة يُكرم بها من كان يرجوه ــ سبحانه ــ ويذكره، ووصف الذكر بالكثرة؛ " لأن التكاليف الإيمانية تتطلب من النفس استعداداً وتهيؤاً، وتؤدي إلى مشقة، أما ذكر الله لا يكلفك شيئاً ولا يشق عليك، لذلك قال تعالى:[ٱتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَأَقِمِ ٱلصَّلاَةَ إِنَّ ٱلصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) (العنكبوت: 45) يعني أكبر من أي طاعة أخرى؛ لأنه يسير على لسانك تستطيعه في كل عمل من أعمالك، وفي كل وقت وفي أي مكان "[2].

3ــ قال تعالى: [يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً) (الأحزاب: 41).

وفي هذه الآية " إقبالٌ على مخاطبة المؤمنين بأن يشغلوا ألسنتهم بذكر الله وتسبيحه؛ أي: أن يمسكوا عن مماراة المنافقين أو عن سبهم فيما يرجفون به في قضية تزوج زينب، فأمر المؤمنين أن يعتاضوا عن ذلك بذكر الله وتسبيحه خيراً لهم"[3].

وذلك أن الآية الكريمة جاءت بعد ذكر قصة تزويج زينب بنت جحش[4]

(1)الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 19، ص 11980.

(2)الشعراوي، تفسير الشعراوي ، مج 19، ص 11981.

(3)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 22، ص 47.

(4)زينب أم المؤمنين بنت جحش بن رياب، وابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت عند زيد، مولى النبي صلى الله عليه وسلم.

للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وقد كانت زوج زيد بن حارثة [1]الذي كان ابناً للرسول بالتبني، وفي هذه الحادثة إبطال عملي للتبني.

يقول سيد قطب: " هذا الدرس شوطٌ جديد في إعادة تنظيم الجماعة المسلمة على أساس التصور الإسلامي... وأن التعقيب على الحادث كان تعقيباً طويلاً لربط النفوس بالله، ولبيان علاقة المسلمين بالله وعلاقتهم بنبيهم، ووظيفة النبي بينهم،...، كل ذلك لتيسير الأمر على النفوس، وتطييب القلوب؛ لتقبل أمر الله في هذا التنظيم بالرضا والتسليم "[2].وهذا يربطنا بموضوع الآية السابقة وهو الأسوة الحسنة.

الثامن عشر: الكثرة في القتال لا تغني.

1ــ قال تعالى: [**إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ**) (الأنفال: 19).

وهذا " خطابٌ لأهل مكة على سبيل التهكم؛ وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أقرانا للضيف وأوصلنا للرحم وأفكنا للعاني، إن كان محمد على حق فانصره، وإن كنا على حق فانصرنا "[3].

والمراد بالفتح هنا نصر المؤمنين ببدر كما يقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآية[4].

وقوله (وَإِن تَنتَهُواْ) أي إن تنتهوا "عما أنتم فيه من الكفر بالله، والتكذيب لرسوله،(فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) أي في الدنيا والآخرة،وقوله تعالى:[**وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ**) معناه وإن عدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والضلالة، نعد لكم بمثل هذه الواقعة "[5].

([1])زيد بن حارثة ابن شراحيل - أو شرحبيل - بن كعب أبو أسامة الكلبي، سيد الموالي، وأسبقهم إلى الإسلام، وحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو حبه.

([2])سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 6، ص 589.

([3])الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 208.

([4])الطبري، جامع البيان، مج 6، ص 207.

([5])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 284.

وقوله ــ عز وجل ــ: [وَلَن تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ) أي " لا تنفعكم جماعتكم على كثرتها كما لم تغن عنكم يوم بدر، فإن المشركين كانوا يومئذ واثقين بالنصر على المسلمين لكثرة عَددهم وعُددهم "[1].

وهذه سنة نافذة قد جعلها الله ــ عز وجل ــ وأكدها القرآن في عدة مواضع، منها قوله تعالى: [كَتَبَ ٱللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِيۤ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) (المجادلة: 21)." فالنصر وعدٌ من الله ــ سبحانه ــ لعباده المؤمنين، حيث تكفل بمعاونتهم على أعدائهم حتى يتحقق النصر، قال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ آمَنُوۤاْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) (الحج: 38).ووعد الله نافذ، وعلى المؤمنين ألا يألوا جهداً في مجاهدة الكفار أهل الباطل، وليعلموا أن حسم الصراع بينهم ــ وهم أهل الحق ــ وبين الكافرين ــ وهم أهل الباطل ــ إنما يكون لصالحهم مهما بعدت الشقة وطال السفر "[2].

قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنينَ) (الروم: 47).

2ــ قال تعالى:(لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ) (التوبة: 25).

في بداية الآية الكريمة يقرر ــ عز وجل ــ ما أثبتناه سابقاً من أن النصر بيده وحده (لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ)فالمعنى: " أن الحق ــ سبحانه ــ قد نصركم في مواطن الحرب؛ أي مواقعها، مثل يوم بدر ويوم الحديبية، ويوم بني النضير، ويوم الأحزاب، ويوم مكة، وكل هذه كانت مواضع نصر من الله للمسلمين، ولكنه في هذه الآية يخص يوماً واحداً بالذكر بعد الكلام عن المواطن الكثيرة، فبعد أن تحدث إجمالاً عن المعارك الكثيرة يقول:(وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) إذن

([1])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 8، ص 299.

([2])البرصان، فريال سلامة، رسالة ماجستير بعنوان "الآيات الواردة في نصر المسلمين وأسبابه، دراسة موضوعية "، إشراف د عبد الرحيم الزقة، كلية الدراسات الفقهية والقانونية في جامعة آل البيت، 2001م.

فكثرة عدد المؤمنين في يوم حنين كان ظرفاً خاصاً، أما المواطن الأخرى مثل يوم بدر فقد كانوا قلة، ويوم مكة كانوا كثرة ولكنهم لم يُعجَبوا، وبذلك يكون يوم حنين له مزية خاصة، فهو يوم خاص بعد الحديث عن العام "[1].

فالآية هنا تصور حال المؤمنين في غزوة حنين بدقة متناهية؛ فهي تنتقل من تصوير سرورهم بالكثرة، إلى تصوير عدم نفعهم بهذه الكثرة، إلى تصوير شدة خوفهم حتى لكأن الأرض على سعتها تضيق بهم؛ فالآية دليل على عدم الاغترار بالكثير فالعبرة بالإيمان لا بالعدد .

وهذا درس للأمة في كل مراحل صراعها مع أعدائها، فاستمداد النصر من الله وحده هو ضمان عزتها وعدم الاغترار بالعَدد والعُدد؛ لأنها لا قيمة لها أمام إرادة رب العباد.

3ــ قال تعالى: **(إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي ٱلأَمْرِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ)** (الأنفال: 43).

وهذه الآية تبين الأسباب الإلهية لنصر المؤمنين يوم الفرقان وهو " يوم بدر"[2] ، قال تعالى: **(وَٱعْلَمُوۤا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** (الأنفال: 41).

وقوله: **(إِذ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً)** هذه نعمة من الله ــ تعالى ــ لتثبيت القلوب وطمأنة النفوس، وتقوية العزائم؛ لأن رؤيا النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ حق.

وهنا نجد الشيخ الشعراوي يتحدث حول الآية الكريمة قائلاً: " والحق سبحانه وتعالى إذا أراد معركة فاصلة، يجعل الخواطر في كل قوم مهيجة على الحرب؛ لأنه سبحانه وتعالى يريد للفئتين أن يشتبكوا، ويفصل الحق في المسألة، وهذا الاشتباك لو حدث بالمقاييس العادية ربما جَبُنَتْ الفئة القليلة عن أن تواجه الفئة الكثيرة. ولكي تتم المعركة لا بد أن يكون كل من الفريقين المتحاربين واثقا من النصر؛ لأنه لو أيقن

(1)الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 8، ص 4993.

(2)الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 224.

أحدهما أنه سيهزم لما دخل إلى المعركة، والله ـــ سبحانه وتعالى ـــ يُعلم رسوله والمؤمنين كيف أعد الله الإعداد النفسي للمعركة، فأرى النبي في الرؤيا أن عدد الكفار قليل حتى يؤمن أن المؤمنين سينتصرون عليهم بسهولة، فرسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في منامه رؤيا توضح أن عدد الكفار قليل في أعين المؤمنين، وأخبر قومه بذلك وقد قلل عدد المؤمنين في أعين الكفار، ليتم اللقاء وتحدث المعركة"[1].

ولكن قد يسأل سائل: كيف يري الله ــ عز وجل ــ نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ الكثير قليلاً، مع أنهم كانوا كثيروا العدد فعلاً ؟

والجواب:" يجوز أن يكون المراد بالقلة: الضعف وهوان الشأن؛ أي: أن المشركين وإن كانوا في حقيقتهم يقاربون الألف...إلا أنهم لا قوة لهم ولا وزن... لأنهم ينقصهم الإيمان الصحيح الذي يقوي القلوب، ويدفع النفوس إلى الإقدام لنصرة الحق؛ لكي تفوز برضا الله وحسن مثوبته "[2].

ويذكر الإمام الرازي سبباً آخر لذلك، فيقول: " لعله ــ تعالى ــ أراه البعض دون البعض، فحكم الرسول على أولئك الذين رآهم بأنهم قليلون "[3].

التاسع عشر: كثرة الأموال والأولاد لا تغني شيئاً.

1ــ قال تعالى:**(وَعَدَ الله ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوۤاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاَقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِي خَاضُوۤاْ أُوْلَـٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ)** (التوبة: 68ــ 69).

لما بين ــ عز وجل ــ جزاء المنافقين والمنافقات والكفار، وصفهم بالتشابه مع من قبلهم **(كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ)**، والمعنى:" أنه تعالى شبه المنافقين بالكفار الذين كانوا قبلهم في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وقبض الأيدي عن الخيرات، ثم

([1])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج، ص.

([2])طنطاوي، الوسيط في تفسير القرآن الكريم، ص 139.

([3])الرازي، التفسير الكبير، ج 15، ص 169.

أنه تعالى وصف أولئك الكفار بأنهم كانوا أشد قوة من هؤلاء المنافقين، وأكثر أموالاً وأولاداً، ثم استمتعوا مدة بالدنيا، ثم هلكوا وبادوا وانقلبوا إلى العقاب الدائم؛ فأنتم مع ضعفكم وقلة خيرات الدنيا عندكم أولى أن تكونوا كذلك "[1]

2ـ قال تعالى: **(ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلأَمْوَٰلِ وَٱلأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَٰهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰماً وَفِي ٱلآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ)** (الحديد: 20).

يقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة:" المقصود الأصلي من الآية تحقير حال الدنيا وتعظيم حال الآخرة، فقال: الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر، ولا شك أن هذه الأشياء أمور محقرة، وأما الآخرة فهي عذاب شديد دائم أو رضوان الله على سبيل الدوام، ولا شك أن ذلك عظيم "[2].

ويرسم القرآن الكريم صورة تشبه حال من يغتر بالدنيا وزينتها، وهي صورة المطر الذي ينبت به نباتٌ يعجب الكفار، والمراد بالكفار " إما الحراث لأنهم يكفرون أي يسترون البذر في الأرض... وإما الكافرون بالله ــ سبحانه وتعالى ــ ووجه تخصيصهم أنهم أشد إعجاباً بزينة الدنيا، فإن المؤمن إذا رأى معجباً انتقل فكره إلى قدرة موجده ــ عز وجل ــ فأُعجب بها...والكافر لا يتخطى فكره عما أحس به فيستغرق إعجاباً "[3].

ثم لا يلبث هذا النبات أن يكون حطاماً،" فضرب مثل الحياة الدنيا لأطوار ما فيها من شباب وكهولة وهرم ففناء، ومن جدة وتبذل وبلى، ومن إقبال في زمن إقبالها ثم إدبارها بعد ذلك، بأطوار الزرع، وكلها أعراض زائلة وآخرها فناء "[4].

([1]) الرازي، التفسير الكبير، ج 16، ص 128.

([2])الرازي، التفسير الكبير، ج 29، ص232.

([3])الآلوسي، روح المعاني، ج 28، ص 184.

([4])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 27، ص 406.

العشرون: نفي الخيرية عن كثير من نجوى الناس.

1ــ قال تعالى: **(لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتَغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً)**

(النساء: 114).

والنجوى: " اسم مصدر بمعنى المسارة، يقال: نجوته نجوا ونجوى وناجيته مناجاة؛ أي: ساررته بكلام على انفراد، وأصله أن تعلو بمن تناجيه بسر معين في نجوة من الأرض؛ أي في مكان مرتفع منفصل بارتفاعه عما حوله "[(1)]، وناجيته أي:" ساررته"[(2)]

وهذه الآية إخبار عن حال عامة الناس من " إخفاء الأقوال والأعمال التي فيها شرٌ ومضرة، ومن إعلان الأقوال والأفعال التي من ورائها خيرٌ ومنفعة "[(3)].

ثم أنه ــ عز وجل ــ بعلمه للسر وأخفى، وإحاطته بأحوال العباد " لم يصدر حكماً جازماً ضد كل نجوى، واستثنى منها نجوى من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، بل ويجزي عليها حسن الثواب "[(4)].

لذلك قال تعالى: **(وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتَغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً)**؛فهوــ سبحانه ــ بين جزاء من يتناجون بالمعروف، ونهى في موضع آخر عن التناجي بما لا خير فيه، وبين أنه من الشيطان ليحزن به المؤمنين، وهو قوله تعالى: **(يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوۤاْ إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْاْ بِٱلإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَاجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيۤ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْئاً إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ)** (المجادلة: 9ــ 10)، والله تعالى يعلم بالنجوى قل المتناجون أو كثروا، قال تعالى:**(أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ**

([1])طنطاوي، الوسيط، ج 1، ص 60.

([2])الأصفهاني، المفردات، باب النون، ص 626.

([3])طنطاوي، الوسيط، ج 1، ص 60.

([4])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 5، ص 2628.

ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ **)**(المجادلة: 7).

والحديث هنا عن المنافقين كما يبين ابن عاشور؛ فيقول: " كان المنافقون يناجي بعضهم بعضاً ليُرِيَ للمسلمين مودة بعض المنافقين لبعض فإن المنافقين بتناجيهم يظهرون أنهم طائفة أمرها واحد وكلمتها واحدة، وهم وإن كانوا يظهرون الإِسلام يحبّون أن تكون لهم خيفة في قلوب المسلمين يتقون بها بأسهم إن اتهَموا بعضهم بالنفاق أو بدرت من أحدهم بادرة تنمّ بنفاقه، فلا يُقدم المؤمنون على أذاه لعلمهم بأن له بطانة تدافع عنه. وكانوا إذا مرّ بهم المسلمون نظروا إليهم فحسب المارّون لعلّ حدثاً حدث من مصيبة، وكان المسلمون يومئذٍ على توقع حرب مع المشركين في كل حين فيتوهّمون أن مناجاة المتناجين حديث عن قرب العدوّ أو عن هزيمة للمسلمين في السرايَا التي يَخرجون فيها، فنزلت هذه الآيات لإِشعار المنافقين بعلم الله بماذا يتناجون، وأنه مُطلع رسوله على دخيلتهم ليكفُّوا عن الكيد للمسلمين"[(1)].

فهو ــ سبحانه ــ " بنجواهم وأسرارهم، وسرائر أعمالهم، وغير ذلك من أمورهم وأمور عباده عليم "[(2)].

فهو ــ سبحانه ــ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

الحادي والعشرين: كثرة الأحبار الذين يأكلون أموال الناس.

1ــ قال تعالى:**(** يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ **)**(التوبة: 34).

" يقول ــ تعالى ذكره ــ: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بوحدانية ربهم، إن كثيراً من العلماء والقراء من بني إسرائيل من اليهود والنصارى **(** لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ

---

(1)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج، ص.

(2)الطبري، جامع البيان، مج 12، ص14.

ٱلنَّاسِ) يقول: يأخذون الرشا في أحكامهم ويحرفون كتاب الله"[1].

ولكن لماذا عُبر عن الأخذ بالأكل ؟

يقول الإمام الرازي: " والسبب في هذه الإستعارة؛ أن المقصود الأعظم من جمع الأموال هو الأكل، فسمى الشيء باسم ما هو أعظم مقاصده، أو يقال: من أكل شيئاً فقد ضمنه إلى نفسه ومنعه من الوصول لغيره، ومن جمع المال فقد ضم تلك الأموال إلى نفسه، ومنعها من الوصول إلى غيره، فلما حصلت المشابهة بين الأكل وبين الأخذ من هذا الوجه سمى الأخذ بالأكل "[2].

ثم ينتقل السياق إلى الحديث عن فئة تكنز الأموال ولا تنفقها في سبيل الله، قال تعالى: (وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)" وأصل الكنز في اللغة: الضم والجمع "[3].

وهو هنا " جعل المال بعضه على بعض وحفظه " [4]

وقد تلا ذكر هذه الفئة ذكر العلماء " لأن الناس عالةٌ على العلماء وعلى العباد وعلى أرباب الأموال، فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس"[5].

الثاني والعشرين: كثرة بكاء المخلفين.

1ـ قال تعالى:(**فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**) (التوبة: 82).

والحديث هنا عن المخلفين الذين رضوا بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا الخروج للجهاد فقال عنهم ـ عز وجل ـ (فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً) وهذان الأمران معناهما الخبروالمعنى؛ فسيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً، وإنما جيء بهما على لفظ الأمر للدلالة على أن ذلك أمر محتوم لا يكون غيره، و"قليلا وكثيرا"

([1])الطبري، جامع البيان ، مج 6، ص 357.

([2])الرازي، التفسير الكبير، ج 16، ص 42.

([3])الشوكاني، فتح القدير، ج 2، ص 357.

([4])الأصفهاني، المفردات، باب الكاف، ص 570.

([5])ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 335.

منصوبان على المصدرية أو الظرفية؛ أي: ضحكاً قليلاً، وبكاءً كثيراً، أو زماناً قليلاً وزماناً كثيراً"[1].

يقول الإمام الرازي " ومعنى الآية أنهم وإن فرحوا وضحكوا في كل عمرهم فهو قليل؛ لأن الدنيا بأسرها قليلة أما حزنهم وبكاؤهم في الآخرة فكثير، لأنه عقاب دائم لا ينقطع، والمنقطع بالنسبة إلى الدائم قليل "[2].

الثالث والعشرون: طاعة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ للمؤمنين في كثير من الأمر يؤدي إلى العنت.

1ــ قال تعالى: **﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾**(الحجرات: 7).

فالآية الكريمة ترشد المؤمنين إلى نعمة كبيرة لا يعلمونها، وهي أن عدم أخذ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ برأيهم وتنفيذه لمرادهم في كثير من الأمور رحمة لهم؛ لأن طاعته لهم في ذلك سيصيبهم بالعنت والمشقة.

وقد صُدِّر سياق هذه الآية أولا بالنهي عن قبول الأخبار الواردة جزافاً دون تثبت؛ قال تعالى: **﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾**(الحجرات: 6).

" فالآية الكريمة ترشد المؤمنين في كل زمان ومكان إلى كيفية استقبال الأخبار استقبالاً سليماً، وإلى كيفية التصرف معها تصرفاً حكيماً؛ فتأمرهم بضرورة التثبت من صحة مصدرها، حتى لا يصاب قوم بما يؤذيهم بسبب تصديق الفاسق في خبره بدون تأكد أو تحقق من صحة ما قاله... وبهذا التحقق من صحة الأخبار، يعيش المجتمع الإسلامي في أمان واطمئنان، وفي بُعْد عن الندم والتحسر على ما صدر منه من أحكام "[3].

([1])الشوكاني، فتح القدير، ج2، ص 389.

([2])الرازي، التفسير الكبير، ج 16، ص 150.

([3])طنطاوي، الوسيط، ج 4، ص 79..

وهذه الآية الكريمة لو تمثلها المسلمون اليوم لما وقعوا في شباك الإشاعات المغرضة، فترى وسائل الإعلام تتسابق في نشر الأخبار فيتلقفها الناس ويبنون عليها أحكاماً ، ويتخذون منها أساساً يبنون عليه فكراً، وكثيراً ما يُظلم عالمٌ بما لم يقله،أو قال رأياً ففهم على غير مراده منه، ثم يبينه للناس بعد ذلك فيحصل الندم على ما كان من ظن السوء به؛ لذا قال تعالى:(فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ).

الرابع والعشرين: العدل الإلهي في المواريث.

1ــ قال تعالى: (**وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ**)(النساء: 12).

تفصل الآية الكريمة في ذكر حقوق الورثة من الميراث كلٌ بحسب قرابته من المتوفى، يقول الإمام الرازي:" اعلم أنه تعالى أورد أقسام الورثة في هذه الآيات على أحسن الترتيبات، وذلك لأن الوارث إما أن يكون متصلاً بالميت بغير واسطة أو بواسطة، فإن اتصل به بغير واسطة فسبب الاتصال إما أن يكون النسب أو الزوجية...والكلالة: وهم الذين ينسبون إلى الميت بواسطة "[1]،واختار الرازي أنها عبارة عما سوى الوالدين والولد، ويقول: وهذا هو المختار والقول الصحيح "[2]

وتشرح الآية الكريمة مقدار كل قسم مما لا حاجة لتفصيله؛ كون محله كتب الفقه، لكن ما يهمنا في هذه الدراسة هو قوله تعالى: (فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ) فمن عدله سبحانه أنه جعل " الأخوة والأخوات يستوي ذكرهم وأنثاهم؛ فهم شركاء في الثلث "[3]، سواءً قل عددهم أو كثر.

([1])الرازي، التفسير الكبير، ج 9، ص 219.

([2])الرازي، التفسير الكبير ، ج 9، ص 219.

([3])الجلالين، تفسير الجلالين، ص 160.

ونجد آية أخرى كذلك تتناول قضية الميراث، يقول ــ عز وجل ــ:(**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهاً وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً**) (النساء: 19).

فالله ــ سبحانه ــ يعالج في هذه الآية الكريمة قضية مختصة بالنساء؛ فإنهن كن في الجاهلية مما يرثه الورثة بعد موت الرجل، فقوله ــ عز وجل ــ: (لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهاً) يبينه الشيخ الشعراوي بقوله:" إن الوارث يرث من مورثه الإماء اللاتي تركهن، ولكن عندما تنصرف كلمة (النساء) تكون لأشرف مواقعها؛ أي للحرائر، لأن الأخريات تعتبر الواحدة منهن ملك يمين "[1].

وهنا نجد الشيخ فضل حسن عباس ــ رحمه الله ــ يلفت إلى أمر من دقائق التعبير القرآني في هذه الآية؛ حيث أن السياق هنا أتى (لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ) ولم يأت: " لا ترثوا "؛ وذلك " لأن الأمور المتفق على تحريمها تلي حرف النهي...أما ما يظنه بعض الناس حقاً لا مرية فيه ولا غبار عليه، فإننا نجد القرآن يعبر عنه بأسلوب آخر؛ حيث يلي حرف النهي هذه الجملة " يحل ". [2]

وقد قيد ــ سبحانه ــ الأمر بقوله " كرهاً" لأن هذا هو الواقع في الجاهلية فإن " الرجل إذا مات وعنده امرأة جاء وليه، وألقى ثوبه على امرأته فتصير مُلكاً له، وأن لم تقبل فإنه يرثها كرهاً، أو إن لم يكن له هوى فيها فهو يحبسها عنده حتى تموت ويرثها، أو يأتي أحد فيزوجها له ويأخذ مهرها، كأنه يتصرف فيها تصرف المالك "[3].

ثم بعد هذا التقرير لحقوق المرأة، وإكرامها الحاصل في شريعة الإسلام، يأتي المتشدقون وينفثون سمومهم في عقول الأمة؛ بأن المرأة مهانة في الإسلام،

---

(1)الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 4، ص 2078.

(2)عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص 213.

(3)الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 4، ص 2078.

ليجردوها من أسمى معانيها وهو دينها وحياؤها، لا بل ويدعون دفاعهم عن حقوقها المسلوبة، كل ذلك ليجعلوا منها أداة للنخر في عظم الأمة[1].

ثم تلفت الآية الكريمة إلى جانب آخر في العلاقة مع المرأة، يقول ـــ عز وجل ـــ: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ)، والمعاشرة:" من العشرة وهي المخالطة."

وكلمة المعروف ـــ كما يقول الشيخ الشعراوي ـــ:" أوسع دائرة من كلمة المودة؛ فالمودة: هي أنك تحسن لمن عندك ودادة له وترتاح نفسك لموادته... لكن المعروف ليس ضرورياً أن يكون عن حُب "[2].

وقوله: (فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً)، معناه:" فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن ولا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها، فلعل لكم فيما تكرهونه خيراً كثيراً؛ فإن النفس ربما تكره ما يحمد وتحب ما هو بخلافه، فليكن مطمح النظر ما فيه خيرٌ وصلاح، دون ما تهوى الأنفس.

ونكر (شيئاً و خيراً) ووصفه بما وصفه؛ مبالغة في الحمل على ترك المفارقة وتعميماً للإرشاد"[3].

نتائج المبحث :

مما اختصت به الآيات هنا، الحديث عن كثرة أهل الكتاب الذين يريدون رد المؤمنين إلى الكفر؛ وذلك لأهمية تنبيه المؤمنين إلى الأخطار التي تتربص بهم في المجتمع المدني بتركيبته الجديدة.

وكذلك ورد مدح للجماعة المؤازرة للأنبياء؛ لحث الناس على اتباع نهجهم والاقتداء بهم.

وسار الخطاب القرآني مربياً للمؤمنين في تلك البيئة، وممهداً لما سيلاقونه من أذى؛ فأعلم عباده أنهم سيلقون من الكافرين أذى كثيراً. ووجههم إلى أن أرض الله واسعة وفيها مراغم كثيرة يُهاجر إليها من وجد ضنكاً في العيش في أرض ما.

كما سَرّى عن أنفس أهل الإيمان بتذكيرهم بما أعد الله لهم من مغانم كثيرة وخيرات وفيرة.

([1])ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 3، ص 286.

([2])الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج 4، ص 2082.

([3])الآلوسي، روح المعاني، ج 4، ص 243.

الخاتمة

وضمنتها النتائج والتوصيات :

أ- النتائج :

أما أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة ؛ فهي كالتالي :

1-أن القلة والكثرة مصطلحين أصيلين في اللغة يدلان على المعاني والأعداد.

2- التعرف على أهمية ورود هذين المصطلحين في القرآن الكريم بقسميه المكي والمدني .

3- الحديث عن القلة والكثرة بالنسبة للجهاد اقتصرت عليه الآيات المدنية .

4- هناك مواضيع اشتركت في بيانها الآيات المكية والمدنية ، ومنها الاشتراء بآيات الله ثمناً قليلاً وكثرة الذين لا يعلمون وكثرة الذين لا يؤمنون .

5ـ التعرف على الإختلاف الحاصل في أهمية ورود المصطلحين في القسمين المكي والمدني بحسب الموضوعات التي خدمتها تلك الألفاظ.

ب ـ التوصيات :

1- أوصي طلبة العلم الشرعي في الدراسات العليا بإيلاء كتاب الله ـ عز وجل ـ العناية والإهتمام ، بحثاً وتعمقاً ؛ وخاصة الدراسات الموضوعية لما لها من فائدة تعود على الأمة بالخير البليغ .

2- أوصي بتوزيع عدد من المواضيع التي تلامس واقعنا على طلبة الدراسات العليا ودراستها دراسة علمية متعمقة من خلال الآيات القرآنية الكريمة .

المراجع

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، **المفــردات في غريب القران**،مكتبة نزار مصطفى الباز،ج1.

الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت1271هـــــ)، مجلد 6،دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، ط 1،2001م.

البخاري، الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هــ)، **صــحيح البخاري**، كتاب الأذان، باب فضل العشاء في جماعة، حديث رقــم 657، ج 1، ص 173.

البرصان، فريال سلامة، رسالة ماجستير بعنوان "**الآيات الواردة في نصر المسلمين وأسبابه، دراسة موضـــوعية** "، إشراف د عبد الرحيم الزقة، كلية الدراسات الفقهية والقانونية في جامعة آل البيت، 2001م.

البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي(ت885هــ)،**نظم الــدرر في تناسب الآيات والسور**، تخريج عبــد الــرزاق المهــدي،،دار الكتــب العلمية،بيروت ــ لبنان،ط1، 1995م، ج 5.

البيضاوي،ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، دار الجيل، ج 23.

الجلالين،جلال الدين **المحلي** (864هــ)وجلال الدين الــسيوطي(911هـــــ)، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة، 2004م.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغــدادي (ت725هـــــ)، **تفــسير الخازن**، دار الفكر،ج3.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح الخالدي، **الشخصية اليهودية من خلال القرآن، تــاريخ وسمات ومصير**، دار القلم، دمشق، ط1،1987م.

الرازي،الإمام فخر الدين محمد بن عمر التيمي البكري المعــروف بفخــر الــدين الرازي (ت606هــ)، **التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط 3،ج14.

الزبيدي،الإمام محب الدين أبي الفيض السيد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيـــدي الحنفي، **تـــاج العـــروس مـــن جـــواهر القـــاموس**، دار الفكـــر للطباعـــة والنشر،مجلد8،ص 85.

الزمخشري،الإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمـــود بـــن عمـــر الزمخـــشري(ت 538هــ)، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود،،دار المعرفـــة، بيـــروت ـــــ لبنان،1982م.

السامرائي، فاضل صالح السامرائي، **التعبير القرآني**، دار عمـــار، ط 4، 2006م، ص 40.

أبو السعود، الإمام محمد بن محمد العمادي (951هــ)، **إرشاد العقل الـــسليم إلـــى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي بيروت ــ لبنان، ج 7.

السقرات، أسامة فرحان السقرات، **الإسرائيليات فـــي ســـورة (ص) عنـــد الإمـــام الطبري، دراسة ونقد**، رسالة ماجستير، جامعـــة مؤتـــة، كليـــة الـــشريعة، 2011م.

الشعراوي، الشيخ محمد متولي الشعراوي،مجلد11،أخبار اليوم قطاع الثقافة والكتب والمكتبات.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (1250هــ)، **فتح القدير الجامع بـــين فني الرواية والدراية من علم التفـــسير**، دار ابن كثير،دمشق،ط1، 1994م، ج4.

الصرايرة، طالب محمد عبد القادر، **سنة التدافع بين الحق والباطـــل فـــي القـــرآن الكريم**، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، كلية الشريعة، 2006م.

الطبري،أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(310هــ)، **جامع البيان عن تأويـــل آي القران**، دار الفكر،بيروت لبنان،1984م، ج 12.

طنطاوي، محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ج 1.

طنطاوي،محمد سيد طنطاوي، **تفسير سورة الأنفال**،مطبعة الـــسعادة، 1979م، ص 139.

ابن عاشور، الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور،**تفسير التحرير والتنوير**،الــدار التونسية للنشر،1984م،ج8.

عباس، فضل حسن عباس، (د. ت). **إعجاز القرآن الكــريم**، دار الفرقــان للنــشر والتوزيع، عمان، الأردن ص 204.

عبد الباقي، محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفــاظ القــرآن الكــريم**،دار الفكر، ط1، 1986م.

ابن عطية، أبو محمد عبدالحق بن غالب. (1422هــ). **محــرر الــوجيز**،ت: عبــد السلام عبد الشافعي محمد، دار الكتب العلمية، ط1 ج1، ص 209.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت395هــ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، المجلد الخامس، كتاب القــاف، دار الجيل، بيروت،ط1،1991م

الفيروزآبادي الشافعي، مجد الدين محمــد بــن يعقــوب الفيروزآبــادي الــشافعي (817هــ) **تنوير المقباس في تفسير ابن عباس**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 2002م، ج 3.

الفيروزآبادي، العلامة مجد الدين محمد بــن يعقــوب الفيروزآبــادي الــشيرازي (ت817هــ)، القاموس المحيط، الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية 1302هــ، ج4، فصل القاف، باب اللام،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م.

القرطبي،أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(ت 671هــ)، **الجامع لأحكام القران**، مجلد5، مؤسسة مناهل العرفان،بيروت،ج10.

قطب،سيد قطب،**في ظلال القران**،مجلد4، ط7،1971م، ج10.

ابن كثير، الإمام الحافظ أبي الفداء إســماعيل إبــن كثيــر القرشــي الدمــشقي(ت 774هــ)،**تفسير القران العظيم**، الدار المصرية اللبنانية،ط2،1990م،ج2.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي(ت1094 هــ)، **الكليات**،تحقيق د.عدنان درويش ومحمد المصري، فصل القاف،مؤسسة الرسالة، بيــروت، ط1، 1992م.

الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد الماوردي البصري (450هـ)، **النكت والعيون**، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت،ط1، 1992م، مج 2.

المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، بحث بعنوان: البناء الحضاري في سورة يوسف ــ عليه السلام ــ، د. طالب محمد عبد القادر الصرايرة، العدد 3، سنة النشر2010م.

محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**،حرف، ص 197

مسلم، الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري(ت 261هـ)، **صحيح مسلم**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، حديث رقم 252، ص 173.

ابن منظور، الإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الأفريقي المصري(ت711هـ)، **لسان العرب**، حققه عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية،بيروت ــ لبنان، ط1، 2003م، ج11.

الملحق (أ)

فهرست الآيات القرآنية الواردة في الرسالة

فهرست الآيات القرآنية الواردة في الرسالة

التسلسل	الآية	اسم السورة	الصفحة
1.	[أَلْهَاكُمُ ٱلتَّكَّاثُرُ)	التكاثر: 1	1
2.	(إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي ٱلأَمْرِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ)	الأنفال: 43	5
3.	(وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَٱذْكُرُوۤاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَٱنْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ)	الأعراف:86	6
4.	(يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ٱعْمَلُوۤاْ آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ)	سبأ:13	6
5.	(وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَٱذْكُرُوۤاْ إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَٱنْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ)	الأعراف:86	6
6.	(يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ٱعْمَلُوۤاْ آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ)	سبأ:13	6
7.	(وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلأَرْضِ فَسَاداً وَٱللَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ)	المائدة:64	8
8.	(مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ)	ص:51	8
9.	(وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّمَا عِنْدَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)	النحل: 95	9
10.	(حَتَّىٰ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَآ آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ)	هود:40	10
11.	(فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ)	هود:116	10
12.	(حَتَّىٰ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ	هود:40	10

	وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَآ آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ)		
.13	(فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ)	هود:116	10
.14	(وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ)	الحاقة: 41	10
.15	(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)	الإسراء: 85	10
.16	(نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ)	لقمان: 24	14
.17	(وَمَن كَفَرَ فَلاَ يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوۤاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ)	لقمان:23	14
.18	(كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ)	المرسلات: 46	14
.19	(وَإِذَا مَسَّ ٱلإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوۤ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ)	الزمر: 8	15
.20	(قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ)	المؤمنون: 40	16
.21	(فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَآءً فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ).	المؤمنون:41	16
.22	(قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)	المؤمنون: 114	16
.23	(قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ ٱلْعَآدِّينَ * قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)	المؤمنون:112ـــ114	16
.24	(فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ)	سبأ:16	17
.25	(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ)	سبأ:15	17
.26	(ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِيۤ إِلاَّ ٱلْكَفُورَ)	سبأ: 17	18
.27	(وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً)	المزمل: 11	18
.28	وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً)	الاسراء: 76	18
.29	(وَهُوَ ٱلَّذِيۤ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلأَبْصَارَ وَٱلأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ)	المؤمنون: 78	19
.30	(ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلأَبْصَارَ وَٱلأَفْئِدَةَ قَلِيلاً	السجدة: 9	20

	مَّا تَشْكُرُونَ)		
.31	(قُلْ هُوَ ٱلَّذِيۤ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلأَبْصَارَ وَٱلأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ)	الملك: 23	20
.32	يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ٱعْمَلُوۤاْ آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ)	سبأ: 13	21
.33	(وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي ٱلأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ)	الأعراف: 10	21
.34	(قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً)	الإسراء: 62	22
.35	(فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)	ص: 82	22
.36	(فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ)	الكهف: 29	22
.37	(إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ)	ص:83	23
.38	(وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَٱذْكُرُوۤاْ إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَٱنْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ)	الأعراف: 86	23
.39	(يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً)	الاسراء: 52	23
.40	(وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً)	الاسراء: 74	24
.41	(قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِيۤ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلاَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ)	ص:24	24
.42	(أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوۤءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلأَرْضِ أَإِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ)	النمل:62	26
.43	(وَمَا يَسْتَوِي ٱلأَعْـمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَلاَ ٱلْمُسِيۤءُ قَلِيـلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ)	غافر : 58	26
.44	(يٰأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِّصْفَهُ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً)	المزمل: 1ـــ3	27
.45	(إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ)	المزمل:20	27
.46	(كَانُواْ قَلِيلاً مِّن ٱللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)	الذاريات:17	27
.47	إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَآ آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُواْ قَلِيلاً مِّن ٱللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)	الذاريات: 15ـــ17	27

.48	(إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ)	الدخان:15	28
.49	(فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ)	الدخان:10	28
.50	(فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلخِزْيِ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنُيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ)	يونس:98	29
.51	(وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلآخِرِينَ)	الواقعة: 14	29
.52	(وَٱلسَّابِقُونَ ٱلسَّابِقُونَ * أُوْلَـٰئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ *ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلآخِرِينَ)	الواقعة: 10ــ 14	29
.53	(قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعُ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ)	يوسف: 47ــ48	30
.54	(ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ)	يوسف: 49	31
.55	(أَفَرَأَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ * وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ)	النجم: 33ــ34	31
.56	(أَعِندَهُ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ * أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰ * أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ)	النجم: 35 ــ 39	32
.57	(وَآمِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُوۤاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَٱتَّقُونِ)	البقرة:41	33
.58	(فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ)	البقرة: 79	34
.59	(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَـٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ ٱلنَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)	البقرة: 174	34
.60	(وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ)	آل عمران: 187	35
.61	(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـٰئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي ٱلآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)	آل عمران: 77	35
.62	(وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي	آل عمران: 75ــ 78	35

	ٱلأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـٰئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي ٱلآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِٱلْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)		
.63	(وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ)	آل عمران: 199	37
.64	(ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ*وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوۤاْ آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ* أُوْلَـٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَؤُنَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)	القصص: 53ــ55	37
.65	(ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَـٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ)	البقرة: 121	37
.66	(لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ ٱللَّهِ آنَآءَ ٱللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ)	آل عمران: 113	37
.67	(إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّانِيُّونَ وَٱلأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلاَ تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ)	المائدة: 44	37
.68	(ٱشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ ٱللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)	التوبة: 9	38
.69	(كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ)	التوبة: 7	38
.70	(ٱشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ ٱللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)	التوبة:9	38
.71	(لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً)	التوبة: 10	39
.72	(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيۤ إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَٰوةَ وَآتُواْ	البقرة: 83	39

	ٱلزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ)		
.73	(وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلجَنْبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً)	النساء: 36	40
.74	(وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ)	البقرة: 88	41
.75	(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ ٱلْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِٱلرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ)	البقرة:87	41
.76	(وَقَالَتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ آمِنُواْ بِٱلَّذِيَ أُنْزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوۤاْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)	آل عمران: 72	41
.77	(فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلأَنْبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً)	النساء: 155	42
.78	(فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظَّاً مِّمَّا ذُكِرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ)	المائدة: 13	42
.79	(مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً)	النساء: 46	42
.80	(وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوۤاْ أَنْفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُمْ مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً)	النساء: 66	44
.81	(فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِيۤ أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً)	النساء: 65	44
.82	(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَداً آمِناً وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ)	البقرة: 126	44
.83	(لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلاَدِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ)	آل عمران: 196ـــ197	45
.84	(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوۤاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَٰوةَ وَآتُواْ ٱلزَّكَٰوةَ فَلَمَّا	النساء: 77	47

	كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلاۤ أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً)		
.85	(أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَـٰؤُلاۤءِ ٱلْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً)	النساء: 78	47
.86	(يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ)	التوبة: 38	48
.87	(قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذاً لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً * قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوۤءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً)	الأحزاب:16ـــ 17	48
.88	(فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوۤاْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)	التوبة:81 ــ82	49
.89	(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلإِ مِن بَنِيۤ إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوۤاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلاۤئِكَةُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ)	البقرة: 246ـــ 249	49
.90	(قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أوْلَـٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ	الأحزاب: 18ـــ 20	50

	عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً *يَحْسَبُونَ ٱلأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ وَإِن يَأْتِ ٱلأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي ٱلأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُمْ مَّا قَاتَلُوۤاْ إِلاَّ قَلِيلاً)		
.91	(إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوۤاْ إِلَى ٱلصَّلَٰوةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً)	النساء:142	51
.92	(وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي ٱلأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً)	النساء:83	53
.93	(وَٱذْكُرُوۤاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)	الأنفال: 26	54
.94	(لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلاَّ قَلِيلاً)	الأحزاب: 60	55
.95	(وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيۤ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِيۤ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلأُمُورُ يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوۤاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ)	الأنفال:44-45	57
.96	(يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوۤاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ)	الأنفال:45	57
.97	**وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ)**	الأنفال: 16	58
.98	سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلاَمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُواْ لاَ يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً)	الفتح:15	58
.99	**(سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ)**	الأنفال: 11	59
.100	لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً)	النساء: 7	60
.101	(لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً)	النساء: 7	61
.102	[وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلٍ آيَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)	الأنعام: 37	62

62	الإسراء: 90	[وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلأَرْضِ يَنْبُوعاً)	.103
63	الأنعام: 111	[وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلاۤئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوۤاْ إِلاَّ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)	.104
63	الفرقان: 21	(وَقَالَ ٱلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِيۤ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً)	.105
63	الدخان: 36	(فَأْتُواْ بِآبَآئِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)	.106
63	الإسراء: 92	[أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلاۤئِكَةِ قَبِيلاً)	.107
63	الأعراف: 131	[فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلاۤ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)	.108
64	يوسف: 21	(وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ ٱلأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)	.109
65	يوسف: 40	(مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُمْ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوۤاْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)	.110
65	يوسف: 39	(يٰصَاحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ)	.111
66	يوسف: 68	(وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)	.112
66	النحل: 38	[وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)	.113
67	النحل: 75	[ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)	.114
67	النحل: 101	[وَإِذَا بَدَّلْنَآ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوۤاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)	.115
68	الأنبياء: 24	[أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ)	.116
68	الأنبياء: 21ـ 24	[أَمِ ٱتَّخَذُواْ آلِهَةً مِّنَ ٱلأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلاَّ ٱللَّهُ	.117

	لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ *لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ* أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ]		
.118	[أَمَّن جَعَلَ ٱلأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَآ أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ]	النمل: 61	69
.119	[وَأَلْقَىٰ فِي ٱلأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ]	النحل: 15	69
.120	[فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ]	القصص: 13	70
.121	[وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِيۤ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ]	القصص: 7	70
.122	[وَقَالُوۤاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقاً مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ]	القصص 57	71
.123	[فِيهِ ءَايَٰتٌ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ]	آل عمران: 97	71
.124	[وَعْدَ ٱللَّهِ لاَ يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ]	الروم: 6	71
.125	[فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ]	الروم: 30	72
.126	[وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ]	لقمان: 25	73
.127	[وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ]	سبأ: 28	73
.128	[قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ]	سبأ: 36	74
.129	[زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ]	البقرة: 212	74
.130	[ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ]	الزمر: 29	74
.131	[فَإِذَا مَسَّ ٱلإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ]	الزمر:49	75

.132	[لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ أَكْـبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْـثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ]	غافر: 57	76
.133	[وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ]	لقمان: 25	76
.134	[وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَآ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ]	الدخان: 38ـ39	76
.135	[قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ]	الجاثية: 26	77
.136	[وَإِن يَرَوْاْ كِسْفاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطاً يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ * فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ * يَوْمَ لاَ يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ]	الطور: 44ـ 47	77
.137	[وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ * وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِٱللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ]	يوسف 103ـ 106	78
.138	[فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفاً]	الكهف: 6	78
.139	[فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ]	العنكبوت: 65	79
.140	[وَإِذَا مَسَّ ٱلإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوۤ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ]	الزمر: 8	79
.141	الۤمۤر تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ وَٱلَّذِيۤ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ]	الرعد: 1	79
.142	[رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]	إبراهيم: 36	80
.143	[وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِناً وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلأَصْنَامَ]	إبراهيم: 35	80
.144	[إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ	المائدة: 118	80
.145	[يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَافِرُونَ]	النحل: 83	81

.146	[وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُمْ مِّن جُلُودِ ٱلأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ)	النحل: 80 ـ	81
.147	[يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَافِرُونَ)	النحل: 83	81
.148	[وَعَاداً وَثَمُودَاْ وَأَصْحَابَ ٱلرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً)	الفرقان: 38	82
.149	[وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ ٱلأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً)	الفرقان: 39	82
.150	[إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ)	الشعراء: 8	83
.151	[قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ* تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ* إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ* وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلاَّ ٱلْمُجْرِمُونَ* فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ* وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ*فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ)	الشعراء: 96ـ 102	83
.152	[إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ)	الشعراء: 121	84
.153	[قَالُواْ لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ يٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ * قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ)	الشعراء: 116ـ 120	84
.154	[قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ * قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِّنَ ٱلْقَالِينَ * رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ * فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عَجُوزاً فِي ٱلْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ)	الشعراء: 167ـ 174	84

ملحق (ب)

الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في الرسالة

الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في الرسالة

المعلومات الشخصية

الاسم: أمينة سلمان العزازمة

التخصص: أصول الدين

الكلية: الشريعة

السنة: 2014

هاتف رقم: 0785384361